مجلة شهرية
Issue No: 166 عدد:
June 2021 شهر حزيران

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

سرّ التدبير الإلهيّ

«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ.
مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظَّلاَمِ
بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»
(يو ٨:١٢)

كنيسة الرُّوم الأرثوذكس
تحافظ على وديعة الإيمان القويم الذي تَسلَّمتْهُ
من التلاميذ الأطهار والآباء القديسين، حتى المجيء الثاني

محتويات العدد

2	من عجائب القديس يوحنا
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	القديسان العظيمان
5	إيمان واقعي
6	الصعود الإلهي
7	------
8	مديح الشهداء
9	------
10	سنكسار أحد الآباء
11	------
12	المسيح يسوع
13	-------
14	-------
15	------
16	العنصرة
19	حول انجيل العنصرة
20	لماذا حلَّ الرُّوح القُدُس ...
21	قصتان واقعيّتان
22	-------
22	توبة كاملة
23	القديس نكتاريوس
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

عَانَى أحد **كهنة كنيسة القديس يوحنا الرُّوسي في بلدة بروكوبي في إيڤيا – اليونان** من نزيف أنفي مُتكَرِّر لمدة تتعدَّى خمسة العشرة عامًا. فكان الدَّم ينسكب فجأة من أنفه وأحيانًا بشكل خطير.

في أحد الأيام، كان الكاهن في طريقه إلى **الكنيسة لإقامة القداس الإلهي**، فبدأ النزيف غزيرًا قبل وصوله بقليل، حوالي الساعة الرابعة قبل الفجر. فسال الدم على لحيته وبلَّلَ جبَّته وشَعَرَ بضعفٍ خفيف، فذهب يبحث عن ماء ليغسل الدَّم. في تلك اللحظة، خطرت في فِكْرِهِ إمكانية أن يكون سبب هذا النزيف **مرض قاتل**، فانتقل عقله إلى عائلته، أبنائه الثلاثة وزوجته، فتوجَّهَ **إلى القديس يوحنا الرُّوسي** قائلًا: «يا قديسي، إذا كان مَرَضِي هذا يُؤدِّي بي إلى الحياة الأبدية، فاهتمَّ أنتَ بعائلتي. وإلَّا من فضلك، اشفِني كي أقوم بواجباتي الكهنوتية والعائلية».

ثم غسل الدَّمَ ودخل إلى **الكنيسة** حيث لم تكن الأنوار الكهربائية قد أُشْعِلَت وكان **الظلام مُخَيِّمًا**. كان هناك ضوء **ذهبي** خفيف يأتي من القناديل ويقع على الأيقونات **فيُظْهِرُ وجوه القديسين**. وقف **الكاهن** أمام الباب الملوكي فسجد وَقَبَّلَ الأيقونات تحضيرًا للمهمة العُظمى، أي الاحتفال **بالقداس الإلهي**. فإقامة القداس مهمة عظيمة وَمُرْهِبَة يقوم بها الكاهن، حتى أنَّ **القوات الملائكيَّة السماويَّة** تتردَّد في أن تنحني وتشاهده. يُعطَى الكاهن عند سيامته نعمة خاصة من **الله** ليقيم الأسرار المقدسة ويتلو الصلوات، كما يكتب **القديس نيقولاس كاباسيلاس**: «كلمات الصلوات التي يتلوها الكاهن تملك القُوَّة الإلهية، وتلك التي يطلبها شعب الله في القداس الإلهي بفم الكاهن تتم كل مرَّة.»

وبينما كان الكاهن المريض يقف أمام الأيقونات، لاحظ بقربه **شابًا طويلًا ذا شعر أشقر يلبس كالجندي**. وكان يشير بأنه يريد شيئًا. اختصر الكاهن من ابتهالاته أمام الأيقونات، وعند وصوله إلى الأيقونة الأخيرة لم يعد يفصله أكثر من متر واحد عن الجندي الذي بَدَا مُستعجلًا جِدًّا إذ استدار نحو باب الكنيسة الرئيسي، وكأنه لم يَعُد قادرًا على الانتظار وَيَهُمُّ بالرَّحِيل. دخل الكاهن إلى الهيكل مُسرعًا وَقَبْلَ أنْ يُقَبِّلَ المذبح قال **للقندلفت**: «أخبر الجندي الواقف أمام باب الهيكل أن ينتظرني إذ قد قاربت أن أنتهي، فهو يبدو على عَجَل».

خرج **القندلفت** لدقائق ثم عاد وعيناه دامعتان ونَفَسَهُ متقطع، وقال **للكاهن**: بأنَّ ليس هناك أحدٌ في الكنيسة ولم يكن هناك أحد؛ «لقد ذهبت إلى الخارج، ولكن كل شيء خاوٍ ومظلم. يا أبتي، لا بُدَّ أنّه كان **القديس يوحنا**».

فأجابه **الكاهن**: «من الممكن. لا تَقُل لأَحَدٍ شيئًا».

روى الكاهن هذه القصة بعد عشر سنوات من حدوثها في ذلك الصباح. وأكّد أن **نزيف أنفه** توقف كُليًّا من بعدها، ولم يعد يعوقه عن القيام بخدمته الكهنوتية، فهو يضمّ أصوات المؤمنين إلى صوته مُصليًّا من أجل خطاياه وجهالة الشعب بكلام **الله** والنعمة الإلهية الروحيَّة التي للكهنوت.

جمعها الأب فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي – إيڤيا

نقلتها إلى العربية سعاد رزوق

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القِدِّيسَيْنِ العَظِيمَيْنِ والمُعَادِلَي ٱلرُّسُلَ قسطنطين وهيلانة 3-6-2020

يقولُ **مُرَتِّلُ الكنيسةِ**:

«إنَّ **قسطنطين العظيم** لم يأخذ مع أُمِّهِ عِزَّ المُلكِ من البَشَرِ. بل من النعمةِ الإلهيةِ من السماءِ. فإنَّهُ أبصرَ فيها علامةَ الصليب الإلهي تَسْطَعُ نورًا. فقَهرَ بِهِ الأعداءَ الألدَّاءَ. وأبادَ ضلالة الأوثان. وأيَّد في العالمِ إيمان الرُّوميِّين الأُرثوذكسيِّ القويم العظيم.»

أيها الآباء الأَجِلَّاءُ والإخوة المحترمون،

أيها المسيحيون الزوار الأتقياء،

إنَّ **كنيستنا الأُرثوذكسية المقدسة وبالأخص كنيسة أوروشليم** تُكرم اليوم بإجلالٍ ووقارٍ **ذكرى القديسَيْنِ المُشَرَّفَيْنِ المَلِكَيْنِ العظيمَيْنِ المُتوَّجَيْنِ من الله والمُعادِلَي الرُّسل قُسْطَنْطِينَ وَهِيلَانَة**، لهذا فقد توجَّهنا مع أعضاء أخوية القبر المقدس الأَجِلَّاءِ إلى كنيسة الدير البطريركيّ المُشيَّدةِ على اسمَيْهِما في تذكار عيدَيْهِمَا السَّنويّ المقدس، لكي نرفع المجد والشكر **للإله الواحد المثلث الأقانيم** لإتمامنا سرَّ الذَّبيحة غير الدموية أي **القُداس الإلهي**.

وكما استنار **القديس بولس الرسول** من **الرُّوح القُدُس**، كذلك **الملك قسطنطين** الذي صار مُعادلًا للرسل، وكارزًا لحقيقةِ إنجيل **المسيح** كما يَذْكر ذلك في التاريخ الكنسي **افسابيوس قيصرية**، إذ يقول: بأنه قد حافظ على الإيمان الإلهي مشاركًا لحقيقة النور سائرًا فيها، وعارفًا بالإيمان الإلهي.

إنَّ هذا المرسوم الثمين الذي أصدره **المغبوط قسطنطين** لكنيسة **المسيح**، لا ينحصر فقط بما يُعرف بالمرسوم الملكي الصادر في الثالث عشر من حزيران سنة **٣١٣**، والذي يسمح به للمسيحيين بالعبادة وممارسة شعائرهم بكل حُرِّيَّة، بل أيضًا بأنَّ **الملك قسطنطين** قد دعا **لعقد المجمع الكنسي المسكوني الأول في نيقية** والذي شَرَّفَهُ بحضوره. ومن الجهة الأخرى أرسل والدته **القديسة هيلانة** إلى الأراضي المقدسة حيث وجدت **الصليب الكريم المُحيي، صليب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**، وأنشأت كنيسة **قيامة المسيح** المقدسة في المدينة المقدسة أورشليم، وكنيسة **ميلاد المسيح** في مدينة بيت لحم.

لهذا فإنَّنَا نحن مع مرتل الكنيسة نقول: **«إنَّنَا بحقٍ واجبٍ نُقيم تذكارَكَ يا زُكن كل الملوك وفخرهم قسطنطين المعادل الرُّسل. فإنَّك حين استنرت بأشعة الرُّوح القُدُّوس أبهجت الكنيسة كلها. وجمعت معاشر المؤمنين من كل حَدْبٍ وَصَقْعٍ إلى مدينة نيقية. حيث رهط الأرثوذكسية، فقد سما شأنًا بظهور الإيمان القويم. إنَّكَ أوَّل مَلِكٍ مسيحي نال صولجان المُلك من المسيح يا قسطنطين المغبوط. فإنَّ شارته الخلاصية وهي الصليب المُحيي قد ظهرت لك وهي مطمورةٌ بعدُ في الأرض. فاتَّخذتها سلاحًا لا يُصادم، أخضعت به كل الأمم تحت أقدام الرُّوم المؤمنين. وبها تقربت إلى إلهنا.»**

ومن الجدير بالذكر أنَّ **القديسَيْن قسطنطين وهيلانة** هما اللذان جعلانا وَرَثَةً لهذا **الكنز الرُّوحي الرُّومي الخلاصي** والذي يتناسب مع قول **القديس بولس الرسول** «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (غلا ٣: ٢٧-٢٨)، لهذا فإنَّنا مع **المرتل** نهتف بشكرٍ وعرفانٍ قائلين: «السلام عليكَ يا قسطنطين الكُلّي الحكمة مع والدتك هيلانة. يا ينبوع استقامة الرأي. الذي يروي كل المسكونة دائمًا بسواقي مياهه العذبة. السلام عليكَ يا جذرًا نَبَتَ منه الثمر الذي يُغذِّي كنيسة المسيح. السلام عليك يا فخر الأقطار المجيد وأول الملوك المسيحيين. السلام عليك يا فرح المؤمنين.» آمين

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

القدّيس قسطنطين الكبير

ولادتُهُ ونشأتُهُ:

وُلِدَ **قسطنطين الملك** حوالي العام **٢٨٠م**. كان أبوه جنرالًا رومانيًا لامع الاسم، واسمه قسطانس كلور وأمه **القديسة هيلانة**. لم يأخذ عن أبيه فن الحرب وحسب، بل عَرَفَ كذلك أن يسوس بحكمة الخاضعين له وأن يرأف بالمسيحِيِّين.

نشأ قسطنطين على مزايا كريمة ونُبلٍ في المسرى، ورحابة في التعامل مع الآخرين، وإنصاف في العدل وعطف على المحتاجين، وكان مُستعدًا ليعفُوَ عن المتحاملين عليه بعد أن يكسر شوكتهم إلَّا إذا تمادوا. هذه المزايا بالإضافة إلى الرأفة بالمسيحيين اتسم بها قبل أن يَعْرِفَ **المسيح**، فلما عَرَفَهُ أخذ منهُ وأضاف على فضائله، فضائل جديدة.

قسطنطين أمبراطورًا:

بعد أن عاش **قسطنطين أسيرًا**، في نيقوميذية والعاصمة الشرقية للإمبراطورية الرومانية، إثر احتجازه من قِبَل **غاليريوس قيصر**، تمكّن من الإفلات، وتحوَّل إلى الغرب، على جناح السرعة. حيث كان أبوه مُشرفًا على الموت. لكنه أسند إليه كرسي الحُكم في الغرب، فأعلنهُ العسكر أمبراطورًا **في ٢٥ تموز سنة ٣٠٦م**.

الصليب رمز الغلبة على الشَّر:

بفضل استجابة أهل رومية **لقسطنطين الملك ضد مكسنتيوس**. حَشَدَ جَيْشَهُ لكن سرعان ما أدرك أن **جيش مكسنتيوس** يفوق جيشه عددًا، فأدرك تفوّقهم فارتبك. فإذا **بصليبٍ هائلٍ يظهر في السماء عند الظهيرة، قوامه نجوم وحوله الكلمات التالية باللغة اليونانية «بهذه العلامة تغلب»**. ثم في الليلة التالية ظهر له **الرَّب يسوع** نفسه، وأوصاه بإعداد صليب مماثل للصليب الذي عاينه في الرؤيا، وأن يرفعه بمثابة راية على رأس جيشه. إذ ذاك تلألأت **علامة الغلبة** من جديد في السماء.

وهكذا ما إن طلع النهار حتى شَرَعَ **قسطنطين** في إعداد **صليب كبير** من الفضة، وأعطى الأمر أن يوضع على رأس العسكر عوض النسور الملكية. و«**العلامة للنصرة على الموت ونصبًا للخلود**». مذ ذاك أخذ **قسطنطين** يتعلَّم المسيحية، وينكب باجتهاد على قراءة الكُتب المقدسة.

خاض **قسطنطين** الحرب، ودارت المعركة عند **جسر ملفيوس**، على بعد ميلين من رومية، في ٢٨ تشرين الأول سنة ٣١٢م وحقَّق **قسطنطين، بنعمة الله، وقوة صليبه**، نصرًا كاسحًا وغَرَّقَ **مكسنتيوس وضباطه في نهر التيبر**.

رد الاعتبار للمسيحيين:

بعد أن حقَّق **قسطنطين** نصرته **ضد مكسنتيوس**، دخل رومية، دخولًا مُظفَّرًا، فحَيَّتْهُ الجموع بمثابة مُحرِّر ومُنقذٍ ومُحسِنٍ. وقد رفع راية **الصليب** فوق النُّصُبِ الرئيسيَّة في المدينة.

هذا وقد ردَّ **قسطنطين للمسيحيين** كل الممتلكات التي سبق **لمكسنتيوس** أن صادرها منهم، كما أرجع المنفيين وحرَّرَ الأَسْرَى. وأوعز بالبحث عن رفات الشهداء الذين سقطوا أثناء **الاضطهاد الكبير**. ثم التقى **قسطنطين الإمبراطور ليسينيوس، إمبراطور المشرق**، في ميلانو (٣١٣م)، فوقع الاثنان مرسومًا وَضَعَ حدًّا **للاضطهاد ضد المسيحيين**، وأجاز لهم ممارسة إيمانهم بحرية في كل أرجاء الإمبراطورية، هكذا **أبصرت المسيحية النور**، وزال **خوف المسيحيين من المُضْطَهِدِينَ**، لأنَّهم صاروا يتمتعون **بحماية الإمبراطور**.

كذلك جعل **قسطنطين الملك** على مقاطعات مملكته حُكامًا جُدُدًا حَرَّم عليهم **تقديم الأضاحي الوثنيَّة**، وأرسل إلى كل الأصقاع الخاضعة لسلطانه ما يفيد **رفضه الوثنية** وَحَثَّهُ على الهداية إلى **المسيح**. حثَّ أتباعه على أن يحذوا حذوه، ولكن دون أن يُرغم أحدًا على ذلك.

تتمة ص ١٨

إيمان واقعي يُؤَيِّدُهُ الرُّوحُ القُدُس

للقديس يوحنا الذَّهبي الفم

–﴿ «إذا اتَّضَحَ أنَّ ليسَ بإمكان أحد أن يقول: «**يسوع هو الرَّبّ!**» بدون **الرُّوح القُدُس**، فبأولَى حُجّةٍ يتعذَّر علينا بدون هذا **الرُّوح** عينه أن نملك إيمانًا متينًا لا يتزعزع».

«فلنُحافظ على شُعلة **الرُّوح**، بسخاءٍ لا حدَّ له ... ولنحترس من أن نغرق في لُجّة الإيمان. الإيمان بحاجة إلى معونة **الرُّوح** وسُكناه ليبقَى صامدًا. والواقع أنَّ معونة **الرُّوح** تَضْمَنُها لنا عادةً **حياةٌ نقيّة** وسلوكٌ لا غبارَ عليه.

أنُريد أنْ يَنشَبَ فينا الإيمان بجذور عميقة؟ (نَشِبَ في الشّيء: علِق به). فلنَحيَ حياة قادرة بالنقاوة، أن تصون **الرُّوح** الذي يكفل لإيماننا أن يظلَّ مُتَوَقِّدًا.

من المستحيل ألّا نتعثَّر في الإيمان، بدون حياة نقيّة ... الأعمال، بالنظر إلى الإيمان، هي بمثابة الطعام للجسد: «هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ» (يع ٢: ٢٠).

– «كيفَ ننال معونة **الرُّوح**، وكيف نقنعه بأن يلبث فينا؟ بأعمالنا الصَّالحة وبسلوك لا غُبار عليه. فكما أنَّ الزَّيت يُغذِّي نور السراج، فإذا نَفَدَ الزَّيت انطفأ النُّور، كذلك نحن أيضًا: ما دُمنا نعمل أعمالًا صالحة، وما دامت ممارسة المحبّة تُنعش نفوسنا، فنعمة **الرُّوح** تلبث فيها كاللهبة التي يغذِّيها الزَّيت. وأمَّا في الحالة المعاكسة فالنعمة تنسحب وتضمحلّ»﴾ (العظة حول الإيمان).

– ﴿ «لمَّا كان **الرَّسول** يملك نفس روح الإيمان هذا، على حَدِّ ما كُتِبَ: «آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ» (٢كور ٤: ١٣– مزمور ١١٤)، فهو يكشف لنا ههُنا سرًّا كبيرًا. ما هو؟ هو أنَّ العهد القديم والعهد الجديد كِلَيهما من روحٍ واحد، وأنَّ **الرُّوح** الذي تكلَّم في العهد القديم لا يزال يتكلَّم في العهد الجديد، وأنَّ الإيمان يُعلّمنا كُلّ شيء وأنَّنا لا نستطيع شيئًا على الإطلاق بدونه. **نَمُّوا** الإيمان ولن تستطيعوا مِن بعدُ أن تفتحوا أفواهكم. ولكن لماذا لَمْ يَقُل: «لأنَّ لنا إيمانًا واحدًا» بل «فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ»؟ هذا للسَّبب الذي ذكرناه لِتَوّنا، ولكي نتعلّم أيضًا أنَّنا بحاجة إلى هَدْيِ **الرُّوح** لنرتفع إلى ذُرَى الإيمان، ونحتقر ضَعف البراهين البشريَّة. ولذا يقول **الرسول** نفسه في موضعٍ آخر: تُمنح هبات **الرُّوح القُدُس** التي تظهر عَلَنًا وَتُعطَى لكلّ إنسانٍ من أجلِ منفعة الكنيسة. «وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ.» (١كور ١٢: ٧). ولكن رُبما لَفَتَ نظري – بحقّ – إلى أنَّ **الرسول بولس** يُريد أن يتكلَّم عن نوعٍ آخر من الإيمان الضَّروريّ لاجتراح المعجزات. إنِّي أعلم حقّ العِلم أنَّ هناك نوعًا آخَرَ من الإيمان ... ولكنّني أعرف أيضًا أنْ ثمّة إيمان – وهو الذي أتحدّث عنه الآن – يجعلنا كلّنا مؤمنين ويؤتينا القُدرة لا لِصُنع العجائب، بل يؤتينا معرفة التقوَى. والواقع أنَّنا لا نستطيع أن نملك هذا الإيمان إلَّا بمعونة **الرُّوح القُدُس**، بحسب شهادة **القديس لوقا**. «فَكَانَتْ تَسْمَعُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا لِيدِيَّةُ، بَيَّاعَةُ أُرْجُوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ ثَيَاتِيرَا، مُتَعَبِّدَةٌ للهِ، **فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا** لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ.» (أعمال الرسل ١٦: ١٤)، والسيِّد **المسيح** نفسه: « لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ **إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ** الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.» (يو٦: ٤٤).

– «من بعد أن يؤدِّي الرُّهبان صلاة الشُّكر للطعام الذي نالوه، نراهم يتشوَّقون إلى خيراتٍ أفضل. إنَّهم يتجرَّدون **من حُطام هذه الدنيا** ويرتفعون إلى أعلى السماوات ويضيفون: «إملأنا من **الرُّوح القُدُس**». فإنَّه ليس بإمكان أحدٍ أن يعيش عيشةً بلا لوم إذا لم يكُن ممتلئًا من هذه النعمة. ما من أحدٍ بإمكانه أن يقوم بأعمالٍ كبيرة وَسَخيَّة، إذا لم يَأتِ **المسيح** لِنُصْرَتِهِ. وكما سبَقَ لهم أن قالوا: «**لكي نعمل كُلّ الأعمال الحسنة في المسيح يسوع**»، كذلك أضافوا: «**إملأنا من الرُّوح القُدُس، حتى نحسن في عينيك**»﴾ (العظة حول إنجيل متَّى).

فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا.

تَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ إِذَا مَرِضْتَا ... وتَـرْجِعُ لِلذُّنُـوبِ إِذَا بَرِيـتَا
إِذَا مَا الضُّرُّ مَسَّكَ أَنْتَ بَاكٍ ... وأَخْبَـثُ ما تَكُـونُ إِذَا قَوِيـتَا
فَكَم مِنْ كُرْبَةٍ نَجَّاكَ مِنْهَـا ... وكَمْ كَشَـفَ البَـلاءَ إِذا بُلِـيتَا
وَكَمْ غطَّـاكَ فِي ذَنْـبٍ وَعَنْهُ ... مَـدَى الأَيَّـامِ جَهْرًا قَدْ نُهِـيتَا
أَمَا تَخْشَى بِأَنْ تَأتي المَنَـايَا ... وأَنْتَ على الخَطَايَا قَدْ دُهِـيتَا
وتَنْسَى فَضْلَ رَبٍّ جَادَ فَضْلًا...عَليكَ ولا ارْعَوَيتَ ولا خَشِيتَا
وَكَمْ عاهَدْتَ ثم نَقَضْتَ عَهْدًا ... وأَنْـتَ لِكُـلِّ مَعْرُوفٍ نَسِيتَا
فَدَارِكْ قَبْلَ نَقْلِكَ مِنْ دِيَـارِكَ ... إِلَى قَبْـرٍ تَصِـيرُ وَقَدْ نُعِـيتَا

هذا العيدُ أيُّهَا الأحباء يتجاوز العقل الإنساني وهو لائقٌ بِكَرَم الله الذي صنعه، فاليوم قد تصالح الله مع **الجنس البشري**. اليوم أُبْطِلَت **العداوة القديمة** وانتهت الحرب طويلة الأمد. اليوم حَلَّ سلامٌ عجيبٌ لم نكن نحلم به قبلًا. فَمَنْ كان يتصوَّر أنْ **يتصالح الله مع الإنسان؟** لا لأنَّ الله قد أبغض الإنسان ولكن لأنَّ **العبد كان غير مبالٍ**، لا لأنَّ السيِّد كان قاسيًا لكن لأنَّ **العبد كان مُنكرًا للجميل**.

أتريد أن تعرف كيف **أَغْضَبْنَا إلهنا الصالح** مُحب البشر؟ لأنه يجب أن تعرف سبب عداوتنا السابقة، حتى عندما ترى تَكْرِيمَه لنا، **ونحن أعداء ومقاومون له**، تتعجَّب وتندهش من محبته للبشر وعنايته بهم. وأيضًا لكي لا تظنَّ أنَّ هذا التغيير قد صار بإمكاناتنا وقُدُراتنا. وما دمتَ قد عرفتَ هذه الحقيقة ومقدار نعمته، فعليك ألَّا تتوقف عن تقديم الشكر له ولعطاياه الكثيرة والوفيرة والغنيَّة.

أتريد أن تعرف كيف **أغضبنا إلهنا محب البشر**، الحنَّان، الصالح هذا الذي يدبر كل شيء من أجل خلاصنا؟ أقول: لقد فَكَّرَ يومًا **في إبادة الجنس البشري**، وقد بلغ منه الغضب علينا حتى عزم أن يهلكنا مع النساء والأولاد والحيوانات المتوحشة، والأليفة وكل الأرض. أتريد أن تسمع هذا **الحُكم النهائي**؟ يقول **الرَّبّ**: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ». (تكوين ٦:٧).

ولكن لكي تعلم انه لم يُبغض الطبيعة الإنسانية وأنه عَدَلَ عن الشَّر، فإنَّ ذاك الذي قال أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتُهُ يقول: « هو وقت لكل إنسان أن يقترب مني» . فلو كان قد أبغض الإنسان لكان يرفض الحوار معه. لكن الآن تراه لا يريد أن يصنع ما هَدَّد به، لكي يُبرِّر العبد ويخبره عن أسباب الدمار الذي من الممكن أن يحدث، لا لكي يعرفها فقط، بل لكي يُخبِّر بها الآخرين فيجعلهم أكثر تعقُّلًا وأكثر تدبرًا .

لكن نحن الذين لم نكن مستحقين أن نسود على الأرض، صعدنا اليوم إلى **ملكوت الله** اجتزنا السموات، وتلامسنا مع **عرش الله** . الجنس الذى بسببه حرس **الشاروبيم** الفردوس، يجلس اليوم أعلى من **الشاروبيم** .

لكن كيف حدث هذا الأمر المُدهش؟

كيف **ونحن الخطأة غير المستحقين للأرض وفقدنا السيادة عليها** نُرفع إلى هذا السُّموّ العظيم؟

كيف أُبْطِلَتِ الحربُ ؟

كيف توقَّفَ الغضبُ؟

هذا هو السُّمُوّ وهذه هي العظمة، أنَّ الذي غَضِبَ منَّا، هو هو الذي دعانا، **ولسنا نحن الذين ترجيناه.**

وهكذا صار السَّلام « إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ.» (٢ كو ٥:٢٠)

وماذا يعني هذا ؟ **الذي غَضِبَ هو الذي يدعو؟** نعم لأنَّه كأبٍ مُحبٍ للبشر يدعو. وانتبه ماذا حدث، الوسيط الذى يدعونا هو **ابن الله، لا إنسان ولا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا أي أحد آخر من خدامه.** وماذا يصنع الوسيط؟ **الوسيط** يتدخل بين طرفين متخاصمين لا يريدان أن يتصالحا ، وذلك بهدف إنهاء الخصام. هكذا صنع **المسيح** .

الله كان **غاضبًا منَّا** ونحنُ تجاهلنا محبته **لِلْبَشَر**، لكن عندما **توسَّط المسيح** فقد صالح الاثنين. وكيف توسَّط؟ بأنْ **قَبِلَ العقوبة التي وُضِعَت علينا، واحتمل هذه العقوبة واحتمل إهانات البَشر**. أتريد أن تعرف كيف احتمل **المسيح** لهذين الأمرين ؟ اسمع ماذا يقول **الرسول بولس:** «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». (غلاطية ٣:١٣). أرأيتَ كيف **قَبِلَ العقوبة التي وُضِعَت علينا** من السموات ؟ ولاحظ كيف احتمل

الإهانات التي **وجَّهَها له البشر**: «تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ». (مزامير ٦٩: ٩).

أرأيت كيف **أَبْطَلَ العداوة القديمة**؟ كيف أَحَبَّ الجميع حتى الموت وجعل **العَدُوَّ والخصم** يصعد إلى السماء ويصير بالقرب من **عرش الله**؟

أساس كل هذه الخيرات هو هذا اليوم الذي نحتفل به «**عيد الصعود**»، لأنَّ فيه صَعَدَت باكورة طبيعتنا الإنسانية إلى **الله**.

مثلما يحدث في الحقول المنثورة بالقمح، عندما يأخذ المرءُ قليلًا من السنابل، ويصنع حُزمة ويُقدمها **لله** فهو يُبارِك بهذه الحزمة كُلَّ الحقل. وهذا ما صنعه **المسيح**، بهذا الجسد وهذه التقدمة الفريدة، بارَكَ **كل الجنس البشري**.

لكن لماذا لم يصعد كل الجنس البشري إلى السماء ؟ لأنَّه لا تكون تقدمة لو أنَّ المرءَ قدَّم كلَّ المحصول، لكن التقدمة الحقيقيَّة هي أن يُقدِّم المرء جزءًا من المحصول وبهذه التقدمة يتبارك المحصول كله.

لكن قد يقول قائل: إنَّ أوَّل مخلوق كان يجب أن يكون هو التقدمة، لأنه هو البداية. لكني أقول: **هذه ليست بداية أيها المحبوب، فلو قدمنا أوَّل الثمر فقد يكون فاسدًا أو مريضًا**. ولذلك يجب أن نُقدم الثَّمر المتميِّز. **لأن الثمر الأوَّل كان مسئولًا عن الخطية**، ولهذا لم يُقدِّم ذاته على الرغم من أنهُ خُلِقَ أولًا. لكن **المسيح** كان **بلا خطيئة** ولهذا قدَّم ذاته على الرَّغمِ من أنه بحسب الزمن قد وُلِدَ فيما بعد. هذا يعني بداية.

ولكي تعرف **أنَّ الثمر الأول ليس هو التقدمة المتميِّزة**، وأنَّ التقدمة الحقيقيَّة هي الثمر الفائق، والنوع الجيد الذى نضج كما ينبغي، سأُدَلِّلَ لك على ذلك من الكتاب المقدس: «وَمَتَى دَخَلْتُمُ الأَرْضَ وَغَرَسْتُمْ كُلَّ شَجَرَةٍ لِلطَّعَامِ، تَحْسِبُونَ ثَمَرَهَا غُرْلَتَهَا. ثَلاَثَ سِنِينَ تَكُونُ لَكُمْ غَلْفَاءَ. لاَ يُؤْكَلْ مِنْهَا. وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَكُونُ كُلُّ ثَمَرِهَا قُدْسًا لِتَمْجِيدِ الرَّبِّ. وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ تَأْكُلُونَ ثَمَرَهَا، لِتَزِيدَ لَكُمْ غَلَّتَهَا. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ .» (لا ١٩: ٢٣-٢٥). إذن لو كان أوَّل ثمر هو الثمر المتميِّز، بمعنى الثمر الذى صار أوَّل عام لكان هذا هو الذي يجب أن **يُقدَّم للرَّبّ**. لكن يقول: ثلاثة أعوام لا يكون الثمر ناضجًا بل تتركه **لأن الشجرة غير صالحة ولأن الثمرة مريضة، وغير ناضجة**. السنة الرابعة يقول: إنَّ الثمر سيكون مناسبًا **للرَّبّ**. وانتبه لحكمة المُشَرِّع. لا يتركه يُؤْكَلُ لكي لا يذوق الثمر **قبل الرَّبّ**. ولا يُسمح له أن يقدمه، لكي **لا** يقدمه **لله** قبل أوانه. لكن يقول أتركه لأنه هو أوَّل ثمر، ولا تُقدِّمه لأنه غير لائق بأن يُقدَّم **لله**.

أرأيت أنَّ أوَّل ثمر ليس هو الثمر المتميِّز ؟

هذه الأمور نقولها من نحو الجسد الإنساني الذي قدَّمه **المسيح للآب**.

قَدَّمَ **للآب** التقدمة المتميزة المختارة عن **الجنس البشري كلّه**. وكم ابتهج **الآب** بهذه التقدمة. لأنَّ ذاك الذي قدَّمها مستحقٌ، لأنَّ التقدمة كانت غير دنسة واستقبلها **الآب** ووضعها بالقرب منه، وقال له: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي» (مز ١١٠: ١). وإلى أيّ طبيعة قال **الله** أجلس عن يميني؟ قالها إلى ذاك الذي سَمِعَ قَبْلًا: «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ » (تكوين ٣: ١٩).

ألم يكن كافيًا إذن أنَّه صَعَدَ أعلى من السموات ؟

ألم تكن هذه الكرامة فائقة وتتجاوز كلّ تقدير ؟

لقد تجاوز الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم وصعد أعلى من السيرافيم، وصعد أعلى من كل القوّات السماويَّة حتى إلى يمين عرش الله.

ألَا تَرَى المسافة من الأرض إلى السماء ؟ أو بالحَرِيِّ فلنبدأ من أسفل: ألا ترى عِظَمَ المسافة من الجحيمِ إلى الأرضِ، ومن الأرضِ إلى السماءِ ومن السماءِ إلى السماءِ العليا، ومن أعلى سماءٍ إلى الملائكةِ إلى القواتِ العلويَّة ثم إلى عرشِ الله نفسه ؟

لقد جاز **الرَّبّ بطبيعتنا** كل هذه المسافة ورفعها إلى ذلك **العُلوّ**.

لاحظ أين كنتَ موجودًا وإلى أيِّ مكان صَعِدْتَ. **لا يوجد مكان أسفل من المكان الذي نزل إليه الإنسان، ولا يوجد مكان أعلى وأسمى من المكان الذى أصعدَهُ إليه المسيح مرَّة أخرى .**

هذه الأمور أعلنها **القديس بولس** قائلًا: «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ.» (أف ٤: ١٠) وصعد فوق جميع السموات. تأمَّل مَنِ الَّذي صعد وأيّ طبيعة صعدت، وما حال هذه الطبيعة قبل صعودها. إني أنظر إلى **الوضع الضعيف للجنس البشريّ** ثم أنظر إلى مقدار الكرامة التي أعطاها لنا **الله محب البشر**.

لقد كُنَّا طينًا وترابًا ولا ذنب لنا في ذلك، فهذا راجعٌ لسببٍ ملازمٍ لضعف طبيعتنا. تصرفنا وسلكنا بصورة أكثر غباء من الحيوانات غير العاقلة «والانسان اذ كان في كرامةٍ ولم يفهم أُقيسَ بالبهائم التي لا عَقلَ لها وشُبِّهَ بِهَا» (مز ٤٨: ١٣س). ولكي يُشار إليه بأنه شبيهٌ بالحيوانات، فهذا يعني أنَّه أسوأ منها. لأنَّ الحيوان بحسب طبيعته ليس له عقل وفهم، ومن الطبيعي أن يبقَى في حالةِ عدم الإدراك وعدم الفهم، لكن حين ننزلق نحن الذين **كَرَّمَنَا الله** بالعقل إلى حالة عدم الفهم، فهذا يعني **أنَّنا أخطأنا بإرادتنا الحُرَّة**. وعليه عندما تسمع أنَّ الإنسان صار شبيهًا بالحيوانات، لا تظنَّ أنَّه قالها للتدليل على أنَّنَا صرنا مساوين لها في عدم الفهم، ولكنه أراد أن يُدلِّل على أنَّنَا صرنا أسوأ منها. وبالحقيقة صرنا **أسوأ وأكثر بلادة** من الحيوانات. لا لأنَّنَا بَشَر انزلقنا إلى هذا المستوى، ولكن لأنَّنَا وصلنا **إلى أكثر درجات الجحود** . وهذا ما أعلنه **أشعياء النبي** قائلًا: « اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إش١: ٣)، لكن لا نفشل «وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا.» (رو ٥: ٢٠).

أرأيت كيف كُنَّا أكثر غباءً من الحيوانات ؟ وتريد أن تعرف أنَّنَا صرنا أقل وعيًا من الطيور؟ اسمع ماذا يقول **النبي إرمياء**: «بَلِ اللَّقْلَقُ فِي السَّمَاوَاتِ يَعْرِفُ مِيعَادَهُ، وَالْيَمَامَةُ وَالسُّنُونَةُ وَالْمُرَقْرِقَةُ حَفِظَتَا وَقْتَ مَجِيئِهِمَا. أَمَّا شَعْبِي فَلَمْ يَعْرِفْ قَضَاءَ الرَّبِّ!» (إر ٨: ٧).

إذًا ها قد حُسبنا أكثر غباءً من الحيوانات والثيران والطيور. وتريد شاهدًا آخر على **مذلَّتنا**؟ الكتاب جعلنا تلاميذ للنمل بعدما فقدنا المنطق والعقل لأنه يقول: «اذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ

حَكِيمًا» (أم ٦:٦). صرنا تلاميذ للنمل نحن الذين خُلقنا على صورة **الله**. ليس السبب في ذلك هو **الخالق**، بل **نحن الذين ابتعدنا** عن **الله**.

ولماذا أتكلم عن النمل؟ لقد صرنا أقل إحساسًا من الحجارة . أتريد أن أُدلِّل لك على هذا أيضًا؟ اسمع ماذا يقول **النبي ميخا**: « اِسْمَعِي خُصُومَةَ الرَّبِّ أَيَّتُهَا الْجِبَالُ وَيَا أُسُسَ الأَرْضِ الدَّائِمَةَ. فَإِنَّ لِلرَّبِّ خُصُومَةً مَعَ شَعْبِهِ وَهُوَ يُحَاكِمُ إِسْرَائِيلَ.» (ميخا ٦ :٢). البَشَر صاروا أكثر جمودًا من أُسُس الأرض. وأيّ شَرّ أعظم من هذا عندما نكون أكثر بَلَادَةً من الحيواناتِ، وأكثر غباء من الطيور وأقل وعيًا من النمل وأقل إحساسًا من الحجارة؟ ونظهر مشابهين للحيَّات:«غضبهم كشبه الحيَّة وكمثل الأفعى الصمَّاء التي تسدُّ اذنيها» (مزمور ٥٨ :٤)

وما بالي أقف عند نقص الوعي والإدراك الخاص بالحيوانات، وقد دُعينا **أبناء الشيطان نفسه**. إذ يقول الكتاب:«أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا» (يوحنا ٨ :٤٤).

لكن نحن الذين بلا إحساس، الجاحدين الأغبياء، الأقل إحساسًا من الحجارة، البائسين، نحن اللا شيء، عديمى الرؤية والتبصر، صرنا اليوم أعلى من كل المخلوقات.

اليوم تمتعت **الملائكة** بهذا الذي تَمَنَّوهُ منذُ زمنٍ طويلٍ. اليوم رأى **رؤساء الملائكة** هذا الذي اشتهوا رؤيته منذ أمَدٍ بعيدٍ. رأوا الإنسان مُشرقًا ببهاء فى يمين من عرش **الله**، مُشرقًا بمجد وجمال الأبديَّة. حقًا إنَّ **الملائكة ورؤساء الملائكة** اشتهوا أن يعاينوا ذلك. ومع أنَّ هذه الكرامة قد فاقت كرامتهم إلَّا أنَّهم ابتهجوا لهذه الخيرات التى نلناها، لأنهم تألَّموا عندما حَلّ بِنَا العِقَاب. فعلى الرَّغْمِ من أنَّ **الشاروبيم** قد حرسوا الفردوس، إلَّا أنهم تألَّموا. فكما أنَّ الخادم عندما يجد أحد زملائه داخل السجن يلتزم بحراسته لأنه هكذا أمرَ **السيِّد**، إلَّا أنه يتألَّم لسجنه. هكذا **الشاروبيم** قد حرسوا الفردوس، إلَّا أنهم تألَّموا **لطرد الإنسان** منه. وإذا كان الناس يشاركون بعضهم البعض مُعاناتهم، فبالأولى ألَّا تشكّ من نحو مشاركة **الشاروبيم**، لأن هذه القوَّات هي أكثر حُنُوًّا من البشر. فَمَنْ مِنَ الناس الأتقياء لا يتألَّم لعقاب بعض البشر حتى لو كان عقابه بعدل، وحتى بعد ارتكابه أخطاء كثيرة؟ وهذا هو العجيب، فعلى الرغم من أنهم عرفوا خطايا الناس ورأوا أنهم **عاندوا الله**، إلَّا أنهم تألموا لعقابهم.

موسى تألَّمَ عندما مالَ شعبه **لعبادة العجل**. ولهذا قال:«...وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خر ٣٢ :٣٢) ، ماذا يعني هذا؟ أنَّكَ تتألَّمَ لرؤية هؤلاء الذين يُعَاقَبُون رغم عدم تقواهم. اسمع صراخ **حزقيال النبيّ** عندما رأى **الملاك** يهلك الناس «..آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ! هَلْ أَنْتَ مُهْلِكٌ بَقِيَّةَ إِسْرَائِيلَ كُلَّهَا..» (حزقيال ٩ :٨). وأيضًا يقول **إرميا النبي**:«أَدِّبْنِي يَا رَبُّ وَلكِنْ بِالْحَقِّ، لاَ بِغَضَبِكَ لِئَلاَّ تُفْنِيَنِي.» (إر ١٠ :٢٤). فإذا كان موسى وحزقيال وإرميا قد تألموا، فهل **القوَّات السماوية** لا تتألَّمَ **لِمَا حدث لنا** ؟ وانظر إلى مقدار الفرح الذى أظهروه عندما رأوا أنَّ **الله** قد تصالح معنا. فلو لم يتألَّموا من قَبْل لما كانوا يفرحون فيما بعد. أمَّا من جهة أنَّهم ابتهجوا فهذا واضح مما قال **المسيح**: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ.» (لو ١٥ :٧). وإذا كانت الملائكة تفرح برؤية خاطئ واحد يتوب، فكيف لا يفرحون وهم يرون طبيعتنا كلها وهي ممثَّلة في **باكورتها** صاعدة إلى السماء .

وتستطيع أن ترى مقدار فرح القوات السماويَّة لتصالحنا مع **الله** في موضع آخر، وذلك عندما وُلِدَ بالجسد. لأنه لم يكن لينزل إلى الأرض إن لم يكن قد قيل إنه تصالح مع الإنسان. وعندما رأوا ذلك صرخوا قائلين:«الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو ٢ :١٤)، ولهذا **مجَّدوا الله**، لأنَّ الأرض تمتعت بالسَّلام والناس بالمسرَّة. هؤلاءالذين كانوا قبلًا **أعداء وجاحدين**.

أتريد أن تعرف أنَّهم ابتهجوا لرؤية **السَّيِّد** صاعدًا للسماء ؟ اسمع ماذا يقول **المسيح**: «... مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ» (يو ١ :٥١). لأنَّ هذه هي عادة الذين يحبون، لا ينتظرون اللحظة المناسبة، لكنهم من فرط سعادتهم يتجاوزون الزمن. ولهذا نزلوا لأنهم استعجلوا أن يروا هذا المشهد الجديد والعجيب. أي رؤية الإنسان الذي ظهر في السماء.

ولهذا نجد الملائكة حاضرين في كل مكان: عندما **وُلِدَ السَّيِّد، وعندما قام، واليوم عندما صعد إلى السموات**. لأنَّ **القديس لوقا** يقول: «إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، وَقَالاَ:«أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ». (أع ١ :١١) ، فَهُم بهذا الظهور يعلنون عن فرحتهم.

وهنا أرجو أن تركزوا الانتباه بشكل خاص. لماذا قال الملائكة هذا الكلام؟ هل التلاميذ ليس لديهم أعين؟ هل لم يروا هذا الذي حدث؟ ألم يَقُل الإنجيلي: «ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»؟ إذًا فَلِأَيِّ سبب وقف بهم الملائكة وقالوا لهم هذا الكلام؟ قالوا هذا لسببين: لأنَّ التلاميذ كانوا دومًا يتضايقون لفراق **المسيح**. ومن جهة أنَّهم تضايقوا، إسمع ماذا قال لهم: «وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ.» (يو ١٦ :٥-٦). فإن كُنَّا نتألم لفراق أَحِبَّائنا وأقاربنا وأصدقائنا، فكيف

لا يتألَّمُ التلاميذ لفراق **المخلص والمعلم** محب البشر الرقيق الصالح ؟ كيف لا يُعانون؟ ولهذا وقف الملاكان بهم لكي يُخَفِّفَا الحزن الذي مَلأَ التلاميذ لفراق **الرَّبّ**، وقالوا إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلقًا إلى السماء. ولكي لا يصنعوا ما صنعه **إليشع** الذي مزَّقَ ملابسه عندما رأى معلمه يصعد إلى السماء (٢ملوك ٢) لهذا وقف الملاكان بهم مُعَزِّيَيْنِ لحزنهم.

أما السبب الثاني وهو لا يقل أهمية عن الأول، فهو متضمن في عبارة «إِلَى السَّمَاءِ» لأن المسافة إلى السماء بعيدة جدًا، والأعين الجسدية ليس لديها القدرة أن تواصل الرؤيا حتى الأعالي. مثل الطائر الذي يطير مُرتفعًا، فعلى قَدْرِ ما يرتفع إلى أعلى على قَدْرِ ما يختفي من أمام أعيننا، وهذا ما حدث مع **المسيح** في صعوده بالجسد، فعلى قَدْرِ ارتفاعه إلى أعلى على قَدْرِ ماكان يختفي، لأنَّ ضعف عيونهم لم يمكِّنهم من متابعته في كُلِّ هذا الارتفاع. ولهذا وقف بهم الملاكان قائِلَيْنِ أنه صَعِدَ إلى السماء لكي لا يظنوا أنَّه صَعِدَ إلى السماء كما ارتفع **إيليا** إلى السماء . **إيليا** ارتفع إلى السماء **كإنسان** . لكن **يسوع صعد إلى السماء لأنه إله**. **إيليا** صعد بمركبة نارية. **يسوع** صَعِدَ في السحاب. لأنَّ **الله** عندما أراد أن يدعو **إيليا** أرسل مركبة. وعندما دعا **ابنه** أرسل العرش الملوكي. ليس فقط العرش الملوكي ولكن عرش **الأب** نفسه. لأن **أشعياء** يقول من نحو **الأب**: «هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ» (أش١٩:١). ولأنَّ الآب يجلس على سحابة أرسل لابنه سحابة. وعندما صعد **إيليا** إلى السماء ترك **لأليشع** رداءه الجلديّ. وعندما صعد **يسوع** إلى السماء، ترك **لتلاميذه** المواهب المتنوعة القادرة على أن تصنع لا نبيًا واحدًا بل آلافًا مثل إليشع أمجد وأعظم منه.

فلنقف أيُّها الأحباء وَنُوَجِّه أنظارنا نحو **المجيء الثاني** لأن **بولس** يقول: «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْتَطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ.» (١تس ٤:١٥-١٦). لكن ليس الكُلّ. فمن جهة أنَّنا سوف لا نُخطف جميعًا، وأنَّ البعض سيبقى والبعض سيُخْتَطَف، اسمع ماذا يقول **المسيح**: «حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ.اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى.» (مت ٢٤:٤٠ -٤١).

ماذا يريد أن يُوضِح بهذا الكلام؟ وماذا يريد أن يعلنه هذا السِّر الخفيّ؟ أراد أن يشير إلى أنَّ من بين الفقراء والأغنياء مَن سيخلُص ومنهم من سيهلك. وأنَّ **الخطأة سَيُتْرَكُونَ منتظرين عقوبتهم** وأنَّ الأبرار سيخطفون على السحاب . فكما أنَّه عند قدوم ملك إلى مدينة يخرج لاستقباله خارج المدينة كل القوَّاد وأصحاب الرُّتب والسُّلطان، وكلّ من له دالَّةٌ كبيرة عنده لملاقاته والتمتع به، وأمَّا المحكوم عليهم فَيُحْجَزُونَ في السجون منتظرين حُكم الملك. هكذا عندما يأتي **الرَّبّ** فكلّ من له دالَّةٌ عنده يلاقي **الرَّبّ** في السحاب، لكن المُدانين وكلّ من يَشْعُرون **بِثِقَلِ الخطايا**، فإنهم ينتظرون **دينونتهم العادلة**.

ونحن أيضًا سَنُخْتَطَفُ، وأنا لا أحسب نفسي في عداد هؤلاء الذين سَيُخْتَطَفُونَ، **فأنا أعرف خطاياي** ولولا خوفي من أن أُعَكِّرُ فرحة هذا العيد **لسكبت دموعًا مُرَّةً لأنني تذكَّرت خطاياي الخاصَّة**. ولأنَّني لا أريد أن أُكَدِّرَ فرحة هذا العيد سأتوقف هنا عن الكلام، ويكفيني أنَّني جدَّدتُ فيكم ذِكْرَى حيَّة لهذا اليوم حتى أنَّ الغنيّ لا يفرح لِغِنَاهُ ولا الفقير يحزن لِفَقْرِهِ، بل السَّعيد هو ذاك المستحق للاختطاف على السحاب، ولو كان أكثر الجميع فقرًا، **وانَّ الإنسان الخاطئ بائس وَتَعِس حتى ولو كان أكثر الجميع غِنًى**. أقول هذا لكي **نرثي لحالنا** ما دُمنا بعد **خَطَأَةً ولكي يثق أولئك الذين يجاهدون من أجل الفضيلة، ولا يثقوا فقط بل يطمئنوا أيضًا**. ولا يكتفي **الخَطَأَةُ بالبكاء** بل يجب **أنْ يغيروا أسلوب حياتهم**. لأن **الإنسان الخاطئ هو قويّ** مادام يهجر **الخبث والمكر** ويتجه نحو الفضيلة، وبهذا يصير مساويًا لأولئك الذين يَحْيَوْنَ في الفضيلة منذ البدء. أما السائرون في طريق الفضيلة فليُداوِمُوا على التقوى ويزيدوا دومًا هذا الربح العظيم. أما نحن فعندما نشعر **بِثِقَلِ خطايانا الكثيرة** فلنغيِّر أسلوب حياتنا حتى نكتسب الفضيلة ونقتني ثقة مَنْ سَلَكَ بالتَّقوى، لكي نستقبل معًا بنفس واحدة وبالإكرام الواجب **لملك** الملائكة ونتمتع بهذا الفرح الطوباوي بمعونة **ربنا يسوع المسيح**.

«وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ.» (أع ١:٩)، وبالقطع كان يستطيع أن يصعد سِرًا ، لكن كما كانت عيون التلاميذ شاهدة **لقيامته**، هكذا أيضًا **جعلهم المسيح** شهود عيان **لصعوده**. «وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ.» (لو ٢٤:٥١). **أُصْعِدَ ودخل إلى السماء** «... الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا.» (عب ٩:٢٤). ولم يدخل إلى السماء فقط لكنه اجتاز فوق السموات، لأن **بولس** يقول: «فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ» (عب٤:١٤). فهو قد صعد واجتاز السموات لأنه كان يملك القُوَّة لأن يصنع هذا ولكي تكمل أقوال **النبي داود**: «صعد الله بتهليل الرَّب بصوت البوق» (مز ٤٧:٥). وهنا يتكلم **النبي** بكل وضوح: صَعِدَ الله بتهليل، ويقول أيضًا: «إِرْفَعْوُا أَيُّهَا الرُّؤَسَاءُ أَبْوَابَكُمْ، وَارْتَفِعْي أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّةُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ» (مز ٢٤:٧). لقد دخل **المسيح** إلى الداخل، لم يدخل إلى هياكل مصنوعة بالأيادي بل إلى السماء عينها، حدث هنا أَمْرَان: أنَّ الأرض اندهشت عندما استقبلت **المخلص**، وكما يحدث عادَة عندما نرى شخصًا غريبًا أن نتساءل مَن هو هذا؟ لأنَّ المرء لا يسأل عن شخص معروف، هكذا عندما استقبلت الأرض القوة الإلهية ورأت **المخلص** وهو يأمر الرِّياح والبحر فيطيعانه، قالت مَن هو هذا حتى تخضع له البحار والرياح ؟ وهكذا كما نادت الأرض متعجبة مَن هو هذا ؟ فإنَّ السماء رأت **الابن** المتجسد فاندهشت وقالت مَن هو ملك المجد هذا ؟

لقد **صارت الكنيسة كلها قريبة للمسيح** بسبب تجسُّده. **بولس وبطرس** وكل مؤمن هو قريبٌ **للمسيح**. ولهذا قال **بولس**: « فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ » (أع ١٧:٩). وفي موضع آخر يقول: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا.» (١كو١٢:٢٧). نحن نملك عربون أبديتنا وهو **جسده**

الذى صعد إلى السماء، ثم أَرْسَلَ **الرُّوح القُدُس** لكي يمكث معنا.

كم هي فائقة هذه العناية الإلهيَّة. كم هو عظيمٌ هذا الملك، عظيم في كل شيء، عظيم جدًا وعجيب. كما قال **النبيّ**: «أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ.» (مز ٨:١). ارتفع الله فوق السموات. نفس الكلمات توجد هنا؛ بينما التلاميذ يشخصون إليه ارتفع «لأَنَّ الرَّبَّ عَلِيٌّ مَخُوفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ.» (مز٤٦:٢). عظيمٌ هو الرَّبّ ، هو أيضًا ملكٌ عظيمٌ «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ. جَمِيلُ الارْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي الشِّمَالِ مدينة الملك العظيم» (مز٤٨:١). نبيٌ عظيمٌ ، وكاهنٌ عظيمٌ ، ونورٌ عظيمٌ ، في كل شيء هو عظيمٌ . والكتاب المقدس دائمًا يذكره بإضافة كلمة **العظيم**، كما يقول **بولس**:«مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (تي ٢:١٣). وأيضًا يقول **داود النبيّ**: «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا». هو ملكٌ عظيمٌ ونبيٌ عظيمٌ، وعندما صنع **يسوع** المعجزات قال الجمع: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» (لو٧:١٦). إذن فهو ليس عظيمًا فقط في **طبيعته الإلهية** ولكنه عظيم أيضًا في **طبيعته الإنسانية**. ومن أين نخرج بهذه النتيجة؟ يقول **بولس**: «فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ.» (عب٤:١٤). ولأنه رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ ونبيٌ عظيمٌ وملكٌ عظيمٌ فقد افتقد **الله** شعبه وأعطى نبيًا عظيمًا لشعب إسرائيل. هو نبيٌ عظيمٌ وكاهنٌ عظيمٌ وملكٌ عظيمٌ ، أيضًا هو نورٌ عظيمٌ: «اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا» (إش ٩:٢). وأيضًا يومُ **الرَّبِّ** العظيمُ كما يقول **يوئيل النبيّ**: «قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ.» (يؤ ٢:٣١). عظيمٌ هو الرَّبّ وعظيمة هي أعماله.

إنَّ عربون حياتنا الأبدية هو الآن في السماء، ما دُمنا قد صعدنا مع **المسيح**. وأيضًا هو سَيَخْطِفُنَا على السحاب ما دمنا مستحقين لهذا اللقاء.

إذن أيُّها الأحباء فلنترجَّ أن نوجد وسط أولئك الذين سيتقابلون معه في السحاب. وكما أنَّ أولئك الذين يتقابلون مع الملك يُكرَّمون جميعهم وإنْ كانوا ليسوا على نفس القدر من المكانة، هكذا أيضًا سيحدث في مقابلة **الرَّبّ** على السحاب. ومن المؤكد أنَّ الجميع لم يحيوا بنفس الطريقة، «وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ.» (١كو ٣:٨).

وإله السَّلام الذي يُعطي السَّلام، والذى يثبِّت السَّلام، ويجازي بالسَّلام أولئك الذين بشَّروا بالسَّلام، وأولئك الذين سمعوا وأولئك الذين علَّموا وأولئك الذين تعلَّموا، حتى أنه في كُلِّ شيء مادُمنا قد بدأنا بالسَّلام أن نكمل المسيرة بالسَّلام وننتهي بالسَّلام، وأن نُمجد إله السَّلام **الآب والابن والرُّوح القُدُس**، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين .

أيتها الكواكب المنيرة للقطب العقلي أضيئوا منيرين بشعاعاتكم فكري على آريوس.

إنَّ آريوس قال: أنَّ الابن غريب من جوهر الآب فليكن هو غريبًا ومنفيًّا من مجد الله الآب.

إنَّنا نُعَيِّد هذا العيد الحاضر لهذه العِلَّة، وذلك لما أنَّ **ربنا يسوع المسيح** لبس جسدنا، وفعل كل التدبير بحالٍ يحتجز نعتهُ (أي لا يوصَف) وعاد إلى العرش الأبوي فأراد **الآباء القديسون** أن يوضحوا أنَّ **ابن الله** صار **إنسانًا بالحقيقة**، وأنَّهُ صَعِدَ وهو **إنسانٌ تامٌ وإلهٌ تامٌ**، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي وأنَّ **مجمع الآباء القديسين** هذا كَرَزَ به هكذا واعترف جَهَارًا أنَّهُ **مُساوٍ للآب في الجوهر والكرامة** فلهذا السبب رتَّبوا **بإلهام إلهي** هذا العيد الحاضر بعد **الصعود المجيد**، كأنَّهم تقدموا فرفعوا شأن **مجمع آباء** هذا مقدارهم الذين كرزوا به أعني: **أنَّ هذا الصاعد بالجسد إلهٌ حقيقيّ وهو إنسانٌ تامٌ بحسب الجسد.**

إنَّنا نُعيِّد هذا العيد الحاضر، لهذا السبب، وهو أنَّ ربنا **يسوع المسيح** لمّا لبس جَسَدَنَا، وفعل **كل التدبير** بحالٍ لا يُوصف وعاد إلى العرش **الأبوي**، أراد **الآباء القديسون** أن يوضحوا أنَّ **ابن الله صار إنسانًا بالحقيقة** وأنه صعد وهو **إنسان تامّ وإله تامّ**، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي وأنَّ **مجمع الآباء القديسين** كرز به هكذا، واعترف جَهارًا أنه **مساوٍ للآب في الجوهر والكرامة**. لهذا السبب رتَّبوا بإلهامٍ إلهيّ هذا العيد الحاضر بعد **الصعود المجيد**، كأنهم تقدّموا فرفعوا شأن مجمع آباء كرزوا

به، أعني أنَّ هذا **الصاعد بالجسد إلهٌ حقيقي وهو إنسانٌ تام بحسب الجسد.**

أما هذا المجمع فصار على عهد **قسطنطين الملك الكبير** في السنة العشرين من مُلكه. لأنَّ هذا تملّك أولًا في روما لمّا **كفَّ الاضطهاد.** وبعد ذلك بنى المدينة الكليّة السعادة المسماة باسمه، في **سنة ٥٨٣٨** لإنشاء العالم (حسب التقويم اليهودي). حينئذٍ نشأت **هرطقة آريوس** الذي كان منشأه من ليبيا وصار إلى الاسكندرية، وتشرطن شمّاسًا من **القديس بطرس الشهيد بطريرك الاسكندرية.** فلكونه ابتدأ يجدّف على **ابن الله** كارزًا جهارًا أنه مخلوق، وأنه صار من العدم وأنه بعيدٌ عن الرتبة الإلٰهية، وأنه يقال له حكمة الله وقوّته مجازًا. بمعنى أنه عاند **صابالیوس الملحد** القائل أنَّ اللاهوت وجه واحد وأقنوم واحد. فوقتًا ما يصير أبًا وتارةً ابنًا ووقتًا روحًا قدُسًا. وفيمَا **آريوس** يُجدِّفُ هكذا، عزله عن الكهنوت **بطرس العظيم،** لما أبصَرَ **المسيح** مثل طفلٍ على المذبح المقدس لابسًا ثوبًا مشقوقًا **وقائلًا إن آريوس قد شقَّه.**

مدينة نيقية الرُّوميّة في آسيا الصُغرى حيثُ عُقِدَ المجمع المسكوني الأوّل زمن الملك قسطنطين الكبير

ولكنَّ **أشيلاس** الذي صار رئيس كهنة بعد **بطرس** على الاسكندرية حلَّ **آريوس** أيضًا على شرط أنه يرتجع عمَّا كان يقوله، ورسمه أيضًا قسّيسًا وجعله قَيِّمًا على المدرسة. فلما توفّي **أشيلاس** صار **ألكسندروس،** الذي لما وجد **آريوس** مجدّفًا أكثر من الأول، أقصاه عن البيعة وحطّه بواسطة مجمع. وانه كما قال ثاودوريطوس، أنه اعتقد أنّ طبيعة المسيح متغيّرة، وانَّ الرَّب اتخذ جسدًا خاليًا من العقل والنفس. هذا قذف أولًا، أمَّا **آريوس فانه اقتاد إلى إلحاده كثيرين،** وكتب فاختصَّ لذاته **افسافيوس أسقف نيقوميدية وبافلينوس أسقف صور وافسافيوس أسقف قيصريّة وغيرهم.** وتطاول على **ألكسندروس.** أما **ألكسندروس** فأنفذ إلى أصقاع الدنيا بأسرها مُخبرًا عن **تجاديف آريوس** وعن قَطْعِهِ. فأنهض كثيرين إلى الانتقام منه.

فلما كانت الكنيسة منزعجة ومنشقَّة بسبب المجادلة الصائرة عن الاعتقاد، أرسل **قسطنطين المُعظّم** إلى جميع الدنيا مركبات ملوكية وجَمَع **الآباء** في **نيقية** وحضر هو بنفسه هناك. ولما جلس **الآباء** وجلس هو، عندما طُلِبَ منه ذلك، لكن ليس على كرسي ملوكي، بل على مجلس وضيع الرتبة. ولما تخاطبوا عن جميع ما يُنسَب إلى **آريوس، أوجبوا اللعنة عليه وعلى جميع المعتقدين باعتقاده.** وكرز **هؤلاء الآباء القديسون، أنَّ كلمة الله هو مساوٍ للآب في الجوهر والكرامة، وانه أزليٌّ مع الآب،** ووضعوا **دستور الإيمان المقدس؛** وانتهَوا به إلى عند «**وبالرُّوح القُدُس**» وأما الباقي فتمَّمه **المجمع الثاني.** وثَبَّت أيضًا هذا **المجمع الأول عيد الفصح،** أعني متى يكون وكيف يجب أن نُعَيِّده. وانه **يجب ألَّا نُعَيِّد مع اليهود** كما كانت عادةٌ سابقة. ووضعوا عشرين قانونًا من أجل الترتيبات الكنسيَّة. وأما دستور الإيمان المقدس، فأثبته **الملك قسطنطين المعادل الرسل** آخر الكل، **وختمه بكتابةٍ حمراء.**

وكان بين هؤلاء **الآباء القديسين، رؤساء كهنة،** مئتان واثنان وثلاثون، وكهنة وشمامسة ورهبان ستة وثمانون. فجملة الحاضرين كانوا **ثلاثمئة وثمانية عشر.** وأما مشاهيرهم فكانوا: **سلفستروس رئيس كهنة روما، وميطروفانيس القسطنطيني** كان مريضًا. فحضر هٰذان بواسطة نائبيهما. **وألكسندروس الاسكندري** مع **اثناسيوس الكبير،** لأنه كان في ذاك الوقت رئيس الشمامسة، **وافسطائيوس الانطاكي ومكاريوس الأورشليمي والبار كوذروفيس الأسقف وبفنوتيوس المعترف، ونيقولاوس المفيض الحيل، وسبيريدونيس تريميثوندس،** الذي هناك طرح الفيلسوف وعمَّده لما أوضح له النور المثلث الشموس. وفي آخر صيرورة هذا المجمع، **انتقل إلى الله إثنان من رؤساء كهنة** فوضع **قسطنطين المعظَّم** حدَّ (قرار) المجمع المقدس في تابوتيهما وختمهما كما يجب. فوُجد ذلك الحدّ مختومًا ومُمضًى منهما بكلمات **الله** التي لا يُلفظ بها.

فلما انقضى المجمع وكانت المدينة التي بناها قد كملت. فاستدعى **قسطنطين الكبير** جميع أولئك الرجال القديسين. فذهبوا معه بأجمعهم. ولمّا صَلّوا ختموا وثَبَّتوا أن هذه المدينة كفؤ لأن تصير **مَلِكَةَ المدن** وأوقفوها **لأُم الإله بأمر الملك.** وهكذا توجَّه **القديسون** كلٌّ منهم إلى مكانه.

لكن قبل أن ينتقل **قسطنطين الكبير إلى الله،** لما كان يدبّر المُلك مع ابنه **قسطنديوس،** تقدَّم **آريوس** إلى الملك قائلًا، انه سيترك الجميع ويريد أن يتَّحِد مع **كنيسة الله،** فكتب **تجاديفه** في قرطاس وعلَّقها في عنقه على صدره وكأنه خاضع للمجمع. وكان يضرب بيده على تلك الكلمات المكتوبة في القرطاس، ويقول اني أذعِن لهؤلاء. فاقتنع الملك وأمر **بطريرك القسطنطينية** أن يقبل **آريوس** في الشركة الإلٰهية. وكان في ذلك الوقت بعد **ميطروفانيس، البطريرك ألكسندروس،** الذي كان عارفًا **برداءة مذهب الرجل.** فكان مشكِّكًا به ومرتابًا ومتضرّعًا إلى الله أن يكشف له إن كان حسب إرادته يُؤْثِر أن يشترك مع **آريوس.** فلما حضر الوقت الذي فيه وجب أن يُقَدِّس معه، صار مستمرًا في الصلاة. فأمَّا **آريوس،** لمّا كان آتيًا إلى الكنيسة وهو عند عمود السوق، مغصَه جوفُه، فدخل إلى كنيفٍ مشاع، وهناك **انفزر مُنْبَعِجًا وقذف كلَّ ما في بطنه وطرحه إلى أسفل.** وتكبَّد رميَ ما في جوفه مثل **يوضاس (يهوذا الإسخريوطي)،** لأنه ساواه في تسليم الكلمة، وشقَّ كلمة الله من الجوهر الأبوي. فانشقَّ وصودف مائتًا. وهكذا كنيسة الله انعتقت **من أذيَّته.**

فبشفاعات قديسيك الآباء الثلاثمئة والثمانية عشر المتوشحين بالله أيها المسيح إلهنا ارحمنا آمين.

بحسب **تعليم الكنيسة**، **يسوع المسيح هو ابن الله** الذي صار إنسانًا لأجل خلاص وتجديد العالم كلّه، **وفي شخصه اتَّحدَتا الطبيعتان الإلهية والإنسانية اتحادًا أقنوميًا**. وهكذا فإنَّ خلاص الإنسان **لا يستند إلى علاقة غير مباشرة أو خارجية** مع الله، بل إلى شركة حقيقيَّة واتحاد مباشر معه. ومن خلال الإيمان **بالمسيح** وشركة الأسرار يرتبط المؤمنون **بالله** وببعضهم البعض، مكوِّنين معًا جسد **المسيح** الواحد، والذي **هو الكنيسة**. **فالمسيح الإله المتجسِّد** هو مركز وحدة المؤمنين.

الخلاص والتجديد في **المسيح** له مَلْمَحٌ شامل، يشمل الكون كله. **فعقيدة الخريستولوجي**، تُعلِّم بأنَّ **يسوع المسيح ابن الله**، هو في ذات الوقت **الإنسان والإنسانية**، هو الواحد وهو الكثيرون. فالحياة المسيحية تتأسَّس على **الاتحاد بالمسيح**، والذي يتحقَّق من خلال الشركة في **سرّ الإفخارستيا**.

ولهذا **فخلاص الإنسان** يقوم على إيمان الشخص بألوهيَّة **المسيح**، وبشكل خاص على أساس الإيمان بوحدة الجوهر مع **الآب**. فتعبير (أوموسيوس) (ομοούσιος) لا يشكل موضوعًا جانبيًا أو تفصيليًا، بل هو أمرٌ له أهمية دينية واجتماعية للمؤمنين في ذلك العصر الذي نوقِشَتْ فيه مسألة (الوحدة في الجوهر بين **الآب والابن**). وأيضًا لأولئك الذين قَبِلُوا وآمَنوا بأنَّ الاتحاد **بالله** هو هدف **الوجود الإنساني**.

رَفْضُ هذه الوحدة في الجوهر بين **الآب والابن** (ομοούσιος) يعني **هدمًا للقاعدة** التي تُبرِّر الرَّغبة في الكمال الرُّوحي، ورجاء الخليقة الجديدة. ومن أجل هذا فإنَّ كل التعاليم المسيحية، تؤكِّد على أنَّ الكون يُحقِّق معناه وقيمته وهدف وجوده، **في المسيح** فقط. ولذلك فإنَّ **الهرطقات** التي تنادي بربط الشَّر بالعنصر المادي، تعكس رأيًا فلسفيًا **بعيدًا وغريبًا** عن **تعاليم الكنيسة**، هذا الرأي هو **رؤية غنوسية مانوية** ترى **أنَّ الشَّر موجود في المادة**، وعليه فلا وجود للشَّر في الله لأن الله روح خالص، إذن فهو في ذاته الخير والصلاح.

فقد اعتقد **المانويون** (المانويون هم أتباع الفيلسوف الفارسي ماني والذي مات سنة 273م) بوجود مبدأين أزليَّيْنِ للكَوْنِ وهما غير مخلوقَيْنِ: **النور والظلمة**. النور هو إله الخير، والظلمة هي إله الشَّر. والمادة بحسب رؤيتهم هي ظلمة، وبناءً عليه فهي شرّ. أما بالنسبة **للتعاليم المسيحية**، فإنَّ كلّ شيء يأتي من الله. **فالله كصالح ومحب للبشر** لم يخلق الشَّر ولم يكن سببًا في ظهوره. هكذا يؤكِّد **القديس باسيليوس الكبير**: **أنَّ الله ليس سببًا للشرور**. ويتساءل: (إن كان كل شيء يأتي من الله، فكيف يأتي الشرّ من الصالح؟ فلا يمكن أن يأتي الإثم من الصلاح ولا الخطيئة من الفضيلة). المادة خُلقت من الله وهي ليست شرًّا. ليس هذا فقط، بل إنَّ الرِّسالة الأساسيَّة للمسيحيَّة، رسالة **القيامة**، تُعلن أنَّ التجديد في **المسيح**، لا ينحصر في الإطار الرُّوحي فقط، ولكنه يشمل البُعد المادي أيضًا، والذي هو في خدمة الرُّوح. الشَّر بحسب **التعاليم المسيحية** ليس له جوهر، **لكنه يوجد في حالة غياب الصلاح**. ولذلك فإن رفض **الخياليين** الإيمان بأنَّ **المسيح** قد أخذ **جسدًا حقيقيًا**، نابع من إيمانهم بأنَّ المادة شرٌّ. ولذلك **علَّموا** بأن المسيح قد أخذ جسدًا خياليًا. **وهي الهرطقة التي أُدينت بشدَّة من قِبَلِ الكنيسة**. ولذلك دعاهم **القديس أغناطيوس الإنطاكي**: «**بالمُلْحِدين**» و «**غير المؤمنين**» .

الخط الفاصل – بالنسبة للكنيسة – لا يوجد بين المادة والرُّوح، **بل**

بين الكون المخلوق والله الخالق. والكون لا يشتمل فقط على المادة بل على العالم الرُّوحي، بينما غير المخلوق هو الله فقط. والشَّر ليس في المادة فقط، لكن في العالم الرُّوحي أيضًا. وبشكل أدق فإنَّ الشَّر **نابع من العالم الرُّوحي الساقط (الشيطان)** والذي جذب معه العالم المادي. ولذلك فإنَّ رفض العنصر المادي وتأليه العنصر الرُّوحي، **لا يعبّر عن رأي الكنيسة**.

ثم جاء من عَلَّم بأنَّ **المسيح** لم يأخذ طبيعة إنسانية كاملة (**آريوس–أبوليناريوس**) أي أنه أخذ جسدًا بلا عقل، أو بنفس غير عاقلة. وهذا يعني أنَّ خلاص الإنسان **غير تام وغير كامل**. على العكس من ذلك يؤكد **القديس غريغوريوس اللاهوتي** أنَّ: (أي شيء فينا لا يمكن أن يُشْفَى وَيَخْلُص إلَّا باتحادِهِ بالله). وبحسب **تعاليم الكنيسة** فإنَّه لا يوجد أي عنصر إنساني بَقِيَ خارج التجديد الكياني الذي تحقَّق بتجسُّد **المسيح**. **التأنس الكامل والتام لله**، منح الإنسان بل والكون كلَّهُ **الخلاص والتجديد**.

في نفس الإطار **رفضت النسطوريَّة** الاتحاد الحقيقي **بين الطبيعتين** (الإلهية والإنسانية) في **المسيح**. وإن كانت قد قبلت بالاتحاد لكنه **اتحاد خارجي وليس حقيقيًا**. كل هذه **الهرطقات** رفضت القبول أن: « **كلمة الله** » قد أخذ **طبيعة إنسانية كاملة وحقيقية**.

هذه الآراء الهرطوقية يمكن أن توضع في اتجاهين أساسيَّيْن:

١) الآراء التى تنحصر في المستوى الإنساني، وترى أنَّ الخلاص هو إنجاز إنساني أي يُحَقِّقُهُ الإنسان بنفسهِ.

٢) الآراء التي تضع كل شيء في المستوى الإلهي، وترى أنَّ الخلاص هو عمل الله فقط، ولا وجود للعنصر الإنساني في هذا العمل الخلاصي.

لكن **التعاليم الآبائية** تؤكِّد على أنَّ **المسيح كإله كامل وإنسان كامل** قد ربط الطبيعي بما هو فوق الطبيعي والمخلوق **بالخالق**، وهدم العداوة وأبطل قوة المعاند وأوجد السلام والوحدة بين المؤمنين. ومن أجل هذا فإن **الأناجيل** تحمل **بشارة فرح** لأجل هذه الوحدة التي تحقَّقت **بين الله والإنسان في شخص المسيح**. لقد تجلَّت الحياة الجديدة واستُعلنت الخليقة الجديدة أيضًا. لقد استُعلنت الحياة الأبدية داخل الزمن. لقد كان الإنسان في العهد القديم هو الذي يسعى نحو **الله**، يحاول إرضاءَهُ ويطلب منه الغفران والمسامحة. أما في العهد الجديد، **فالله** هو الذي يأخذ المبادرة، فلا يُشير العهد الجديد إلى أي محاولة من قِبَل الإنسان للتصالح مع **الله**، بل «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢كو٥: ١٩). وهذا ما يؤكِّده **القديس يوحنا الإنجيلي**، حين يشير إلى أنَّ محبَّة **الله** تجاه **البَشَر** هي التي دفعته لبذل ابنه الوحيد « لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو٣: ١٦).

وهذا هو ما يُعبِّر عنه العهد الجديد بأمثلة متنوعة. فحين يذكر مَثَلَ **الخروف الضَّال**، فهو يريد أن يُشدِّد على أنَّ **الله** هو الرَّاعي الأمين والصالح الذي يَسْعَى في طلب **الخروف الضَّال**، وحين يجده، يحمله على منكبيه، ويعود به فَرِحًا إلى بيتهِ (لو١٥: ٤-٧). وقد برهن **الله** على هذه المحبَّة «لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خَطَأَة مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.» (رو٥: ٨).

فالله إذن أظهر لنا محبَّة متجسِّدة في شخص **المسيح** الذي تَمَّمَ مشيئة **الله الآب** حتى المنتهى. **فيسوع المسيح** هو صورة **الآب** الحقيقيَّة، الذي أخبرنا بصورة فائقة للوصف. ولذلك قال **المسيح كلمة الله**: «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو١٤: ٩).

من أجل هذا فإنَّ تجسد **كلمة الله**، هو إجابة واضحة ومُفرحة ضِدَّ **التيار اليوناني الفلسفي** الذي **رَفَضَ** فكرة اتحاد الإلهي بالإنساني، وأيضًا ضد **الهرطقات** التي اجتمعت معًا في نقطة واحدة **وهي رفضها لألوهية المسيح، من خلال رفضها للاتحاد الحقيقي بين الطبيعتين في المسيح** «فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَعُمُّ الشَّعْبَ كُلَّهُ: فَقَدْ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.» (لو٢: ١٠-١١). ولذلك **تُصلِّي الكنيسة** بأنَّ **الله** أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، وهو الهدف من هذا الاتحاد بين **الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية**. أي أنْ يصل الإنسان إلى الاتحاد **بالله**، إلى كماله في **المسيح**، وتصير له إمكانية الدخول إلى أعماق الحياة الجديدة.

الهرطقات ضد طَبِيعَتَيِ المسيح الإلهيّة والإنسانيّة:

لقد ارتبطت التعاليم الخريستولوجية بعقيدة الثالوث منذ القرون الأولى للمسيحية. فقد رفض المنادون **بالوحدة المُطلقة في الله** الظهورات الإلهية في العهد القديم كإعلان عن الثالوث. وادّعوا أن الثالوث ليس إلَّا أقنومًا واحدًا ظهر في ثلاثة أشكال (الآب والابن والروح). وهذا يعني حسب رؤيتهم أنه لا يوجد تمايز بين الأقانيم، ولا وحدة جوهر، بل هناك أشكال ثلاثة لله الواحد يحمل ثلاثة أسماء. الآب لأنه خالق الكون وهو الأصل، الابن لأنه تجسد وصار إنسانًا، والرُّوح القُدُس لأنه يملأ كل شيء بحضوره. **هذه الهرطقة** انتشرت في روما، وشمال إفريقيا، وآسيا الصغرى، وذلك في أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث. **وأشهر من دعا لهذه الهرطقة هم:**

١) نوئيتوس الذي نشر تعاليمة في أزمير بين سنة ١٨٠ – ٢٠٠م.

٢) براكسياس الذى نشر تعاليمه في روما وقرطاجنة.

٣) سابيليوس بتوليمائيس في خمسِ المُدُنِ، ودُعيت الهرطقة باسمه (**الهرطقة السابيلية**). هذه **البدعة السابيلية** وَرَدَ ذكرها في القانون الأول من قوانين مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١، **كبدعة يجب نبذها**، وكانت في ذلك الحين قد فقدت قوتها كتنظيم خاص له وجود، لكنها كانت لا تزال شائعة عند بعض الناس. يذكر **القانون الأول من هذا المجمع** « **إن الآباء الذين اجتمعوا في القسطنطينية قرَّروا بألَّا يحيدوا عن إيمان الآباء الثلاثمئة والثمانية عشر المجتمعين بنقية، بل يبقى هذا الإيمان حيًا وصحيحًا، وأن تُحرم كل هرطقة، وعلى وجه الخصوص الأفنومية، والأفذوكسية (نسبة إلى تعاليم افذوكيوس)، والسابيلية،وأتباع أبوليناريوس**».

وفي كتاب «**دحض جميع الهرطقات**» المنسوب إلى **هيبوليتوس الروماني** (١٧٠-٢٣٥) نجد دَحْضًا **لتعاليم نوئيتوس**. وفي كتاب «**ضد براكسياس**» **لترتليانوس**، نجد دَحْضًا **لتعاليم براكسياس**، ويذكر **يوسابيوس**

القيصري في كتابه « **تاريخ الكنيسة** (٦:٧) » أنَّ **ديونيسيوس أسقف الأسكندرية** (١٩٠ – ٢٦٤) كان يصف **أتباع هذه الهرطقة بالمُجَدِّفين، وعديمي التوقير** (للآب والابن والرُّوح القُدُس).

وتكمن **خطورة هذه الهرطقة** في أنَّها لم تميز بين وحدة الجوهر وتمايز الأقانيم في **الله**، وإنْ كانت قد اعترفت بألوهية الابن، لكنها أكدت على أن الابن هو نفسه الآب.

هذا الرأي ينتهي إلى نتيجة مفادها أنَّ الآب نفسه هو الذي تجسَّد من العذراء وتألم وصُلب وقام. **هذا التعليم بالطبع يتناقض** مع تعليم العهد الجديد عن **الله الآب**، وعن ابنه **يسوع المسيح** الذي وُلد **من العذراء مريم** ليتمِّم مشيئة **الآب**. **فالآب والابن** أقنومان متمايزان.

ثم ظهرت **هرطقة أخرى تُنكر أُلوهِيَّة المسيح**، وانطلقت من مبدأ **وحدانية الله**، حيث تخيَّل أصحاب هذه **الهرطقة** أن المسيح ليس سوى إنسان تبناه الله. أصحاب هذه الرؤية هم **بعض اليهود** الذين تنصَّروا في بدايات القرن الأول وآمنوا بالمسيح، لكنهم **رفضوا أنه ابن الله** المولود قبل كل الدهور.

ويذكر **ايريناؤس**، أن من بين **هؤلاء اليهود** جاء **الأيبونيون**، الذين قالوا إنَّ يسوع هو مجرد إنسان وُلد من العذراء. كما أنهم لم يعترفوا بإنجيل متى، ورفضوا تعاليم الرسول بولس وكل رسائله، والتزموا بتعاليم الناموس وحفظ الوصايا.

ومع أنهم قد حفظوا الخِتَانَ وعملوا بالنَّاموس، إلَّا أنهم أظهروا تَوَجُّهًا يونانيًّا في آرائهم، بل أنهم **قطعوا الخيط الذي يربط** بين العهدين القديم والجديد، وقالوا إن هناك هوة عميقة تفصل بين العهدين. في المقابل نجد أنَّ **إبيفانيوس** يؤكد – **بحسب الرؤية الآبائية الأُرثوذكسية** – على **وحدة العهدين القديم والجديد** وعدم جواز الفصل بينهما.

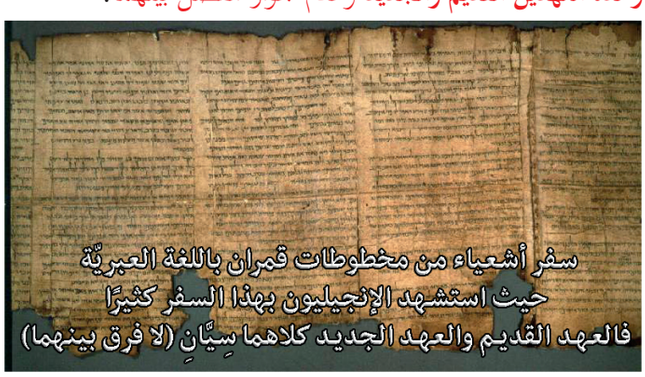

أشهر من دعا **لهذه الهرطقة هو بولس السموسطائي**، الذي كان **أُسقفًا لإنطاكية سنة ٢٦٠م** وكانت تعاليمه **ضد عقيدة الثالوث**. وقد اعتبر المسيح كلمة الله أنَّه مجرد إنسان أعطاه الله قوة وحكمة أكثر من جميع الأنبياء. وعلَّم بإمكانية أن ندعو المسيح إلهًا لكن ليس بالمعنى الحقيقي. ولذلك كان **أتباع بولس السموسطائي** يستخدمون عبارة « باسم الآب والابن والروح القدس» عند إتمام سرّ المعمودية، **لكنهم لم يستخدموا تلك الكلمات بمعناها الحقيقي**. من أجل هذا فقد أَلْزَمَ القانون ١٩ من قوانين مجمع نيقية سنة ٣٢٥م (إن أتباع بولس السموسطائي **الذين عادوا إلى الكنيسة الجامعة** يجب أن تُعاد معموديتهم).

من بين أولئك الذين **أخذوا موقفًا رافضًا** للعهد القديم، **مجموعة النيقولاويين** التي وردت في سفر الرؤيا (٢:٦). وأيضًا **ماركيون** الذي كَوَّن حركة كبيرة في روما، حيث هرب من اضطهاد (**بونتوس** πόντος) (**الذي جرى في بيثينيا–بونتوس عام ١١١، تحت سلطة الحاكم الإمبراطوري بلينيوس**)، وقد رفض **ماركيون** العهد القديم بعناد، ورفض الحديث عن العالم (**كوسمولوچيا** Κοσμολογία) كما ورد بالعهد القديم. فقد **رفض** العهد القديم كاستمرار لمسيرة **التدبير الإلهي**، وعلى وجه التَّحديد الظهورات **الإلهية** في العهد القديم. وهو بذلك يرفض عقيدة الثالوث، **ويقاوم** التعليم الصحيح عن عقيدة الخريستولوجي ، كما جاء في العهد الجديد. فالعهد الجديد هو استمرار لهذه المسيرة (مسيرة **التدبير الإلهي**)، التي اكتملت بتجسد **الابن الوحيد**. وهنا ينبغي الإشارة إلى حديث **القديس اسطفانوس أول الشهداء** أمام **اليهود**، حينما قال: «هذَا هُوَ مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ. هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ، مَعَ الْمَلاَكِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ، وَمَعَ آبَائِنَا. الَّذِي قَبِلَ أَقْوَالاً حَيَّةً لِيُعْطِيَنَا إِيَّاهَا.» (أع٧:٣٨). أي أنَّ **موسى** أخذ من **الله** كلامًا حيًا. **الكتاب** هو هذا الكلام الحيّ **وموسى** قد اختبر وتذوَّقَ هذه الحياة. ووفقًا لهذه الرُّوح، نجد أنَّ **إبيفانيوس** وهو بصدد **مقاومته لانحرافات وافتراءات الهراطقة**؛ يؤكِّد ويُشَدِّد على أنَّ: « **الألوهيَّة هي واحدة والرُّوح واحد في العهدين القديم والجديد**».

بينما رأت مجموعة أخرى، تُسمى **بالترويكيون**، أنَّ الكلمة هو أسلوب استعلان لله الواحد. هذه المجموعة **أنكرت** ألوهية الرُّوح القُدُس أيضًا، ونادوا بأن الرُّوح القُدُس مخلوق من العدم، وأنه ملاك أعلى في الرتبة من بقية الملائكة، وإن كانوا يحسبونه ضمن الأرواح الخادمة (عب١:١٤). ونتيجة لذلك فهو من جوهر مختلف عن جوهر الآب والابن، كما أنه لا يشبه الابن.

هذا الارتباط بين عقيدة الثالوث والتعاليم الخريستولوجية، لم يكن ارتباطًا نظريًا فقط، لكنه أخذ بُعدًا تطبيقيًا في حياة الكنيسة، وهي بصدد الرَّد **على الهرطقات**. فالتقليد الكتابي يؤكِّد على حقيقة أنَّ **المسيح هو ابن الله** «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!» (مت١٦:١٦) ، فهو **الأقنوم الثاني في الثالوث القدوس، وهو الكلمة الذي أخذ جسدًا**. هكذا يُعلن **القديس يوحنا الإنجيلي** بشكل واضح لا لُبْسَ فيه «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو١:١٤). وعبارة **جسد** هنا تعني **الإنسان بكامله**، وليس فقط جسد الإنسان بدون نفس. لذلك فهو يؤكِّد على أنَّ: «كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ» (١يو٤:١–٣).

وكان **يوحنا الإنجيلي** حينذاك يواجه **هرطقة تُشَكِّك** في حقيقة جسد **المسيح**، لذلك نراه يؤكِّد في رسالته الثانية: على «أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ.» (٢يو١:٧).

التاريخ الكنسي في قسمه الكبير، انشغل بالأحداث والصراعات والانقسامات التي حدثت لفترات طويلة داخل الحقل الكَنَسِيِّ، **بسبب تعاليم الهراطقة غير المستقيمة ضدّ** طَبِيعَتَيِ **المسيح**. لكن من ناحية أخرى فإن التاريخ الكنسي يشير إلى أنَّ ظهور **الهرطقات** جعل **الآباء** يكرسون جهدهم ووقتهم في الرَّدِ على **هذه التعاليم المُضِلّة**، الأمر الذي أدى إلى **نُموّ واتساع ونضوج التعاليم الأُرثوذكسية القويمة**.

وهذا نجده واضحًا في **إنجيل** القديس يوحنا **ورسائله**، فقد واجه **هرطقة خاصة** ارتبطت بتيار فلسفي شرقي في ذلك العصر، وهي **هرطقة الدوستيين** أو **الخياليين**.

الدوستيون أو الخياليون:

هؤلاء رفضوا أن يكون المسيح قد أخذ جسدًا حقيقيًا، بل اعتقدوا أن المسيح أخذ جسدًا خياليًا أو شبه جسد، ولهذا فقد دُعوا **بالخياليين**.

هؤلاء هم فئةٌ من **الغنوسيين** (**إي چنوسي= معرفة** η γνώση) الذين انتشروا بين المسيحيين منذ نهاية القرن الأول. والذين كانوا يؤمنون أنَّ **المعرفة** هي الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة. **والمعرفة** بحسب رؤيتهم، لا يصل إليها الإنسان إلَّا إذا تخلَّى عن عالم المادة والجسد، وهذا العالم كانوا يعتبرونه عالمًا فاسدًا في جذوره. وعليه رفضوا الإيمان بأن المسيح كان له جسد حقيقي، بل تصوروا أن المسيح أخذ «شكل جسد» أو «شبه جسد». هذه الجماعة تبنَّت **فكر الفلسفة الثُنائية**. والذي ينادي بأنَّ هناك عالمًا محسوسًا، وآخر غير محسوس وغير مرئي، ولهذان العالمان لا يمكن أن يتلاقيا؛ فالمادة والرُّوح لا يمكن أنْ يَتَصَالَحَا أبدًا حيث إنَّ الواحد لا يتناسب ولا يتوافق مع الآخر بأي طريقة كانت.

وبناء على هذا فقد اعتبروا أن تجسُّد **الكلمة** هو **أمرٌ مستحيلٌ**، بحسب هذه الرؤية الفلسفية. قَبِلُوا فقط استعلانه الظَّاهري، أي ظهوره في شبه جسد، وليس جسدًا حقيقيًا. بمعنى **أنه جسد خيالي**.

والتعليم اللاهوتي للآباء يرفض هذه الرؤية، ويؤكد على **حقيقة جسد المسيح**، كما أكَّد **القديس أثناسيوس الكبير** على هذه الحقيقة قائلًا: (عندما تأَلم المسيح بالجسد لم يكن الكلمة خارجًا عنه، ولهذا السبب يُقال إن الآلام خاصَّة بالكلمة، وعندما عمل أعمال الآب لاهوتيًا، لم يكن الجسد خارجًا عنه، لكن الرَّبّ عمل هذه الأعمال في هذا الجسد نفسه ... وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا، لأنه قد اتخذ لنفسه . جسدًا حقيقيًا وليس خياليًا).

هذه الهرطقة مع هرطقات أخرى مشابهة أو مختلفة عنها، استمرت في نشر تعاليمها المُضَلِّلَةِ، تارة بالعنف وتارة بالحيلة والخداع، في محاولة للتأثير **على مسيرة الكنيسة وتعاليمها الأُرثوذكسية**، وذلك حتى القرن الخامس.

لكن في القرنين الرابع والخامس، لم تعد هذه الهرطقة تشكِّل الأهمية التي كانت لها في السابق، حيث بدأت بعض **الهرطقات** الأخرى في الظهور. وهذه **الهرطقات** تقوم على أُسُس مغايرة وتقود إلى نتائج مختلفة تمامًا عن **هرطقة الخياليين**؛ حيث يرفض **الخياليون** تجسد الكلمة، بينما هذه **الهرطقات** لا ترفض فكرة التجسد، لكنها شرعت في شرح وتفسير طريقة الاتحاد بين الطبيعتين في **المسيح** (أي الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية)، وكانت هناك صعوبة حول توضيح معنى المصطلحات، «**أوسِيًا = جوهر** ουσία»، «**فيسي = طبيعة** φύση»، «**شخص = پروسوبو** Πρόσωπο»، «**أقنوم = هيبوستاسيس** ὑπόστᾰσις».

فالرؤية **غير الصائبة للهراطقة** تعود في كثير من الأحيان إلى عدم فهم وتوضيح معنى هذه المصطلحات.

ومع هذا فإنَّ المناقشات حول طَبِيعَتَيِ **المسيح**، لم تكن مناقشات نظرية خالصة. **فالهراطقة** كانوا يتحركون من واقع اجتماعي وحياتي مُعاش. فأغلب **الهراطقة** في شرحهم لسرّ التجسد، ينطلقون **من أُسس أخلاقية**. فبحسب التفسير الأخلاقي للخلاص، **فإن المسيح كان من المُمكن أن يُخطئ، لكنه لم يُخطئ، لأنه سلك باستقامة وإرادة نقية**.

بينما ركَّز الجانب **الأرثوذكسي** على الطابع **الشفائي للخلاص**. يقول **القديس غريغوريوس النزينزي**: (أي شيء فينا لا يمكن أن يُشْفَى وَيَخْلُص إلَّا باتحاده بالله). وهكذا فإنَّ المناقشات التي دارت من قِبل **الهراطقة** والخاصة بطريقة الاتحاد بين الطبيعتين في **المسيح**، منذ بدايات القرن الرابع وخلال القرن الخامس، بينما كان لها أُسُس فكرية فلسفية مجرَّدة، إلَّا أنها تحدَّدت بشكل واضح من خلال الخبرة الحياتية الاجتماعية. وأيضًا الرَّد على هذه **الهرطقات** لم يكن نظريًا فقط، لكنه كان يعكس خبرة حيَّة للكنيسة في صلواتها وطقوسها وممارساتها، لأن الكنيسة هي أيقونة الثالوث، كانت ولا تزال تحيا الشركة على مثال الثالوث. لقد أدركت الكنيسة منذ تأسيسها أنَّ **المسيح** الحي لا يزال حاضرًا فيها، **لأن الخلاص وغفران الخطايا وعطية الحياة الإلهية**، ليست أعمالًا إنسانية تستطيع الكنيسة القيام بها بجهودها الإنسانية، بل **بعمل المسيح نفسه الذي قام من الأموات وهو الآن حيٌّ فيها**، والذي يُحييها ويكمل عمله فيها **بالرُّوح القُدُس**. لأنَّ **المسيح** أيضًا هو «رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ.» (أف٥:٢٣).

من قرارات مجمع حلقيدونية وهو إيمان كنيسة الرّوم الأرثوذكس:

« أنَّ في المسيح اقنومًا واحدًا مؤلَّفًا من طبيعتين متميّزتين: اللاهوت والناسوت».ومن أهمّ ما ورد في هذا التحديد:«إنّ المسيح هو نفسه تامّ في الألوهة وتامّ في البشريّة، إله حقّ وإنسان حقّ. إنّه مساوٍ للآب في الألوهة ومساوٍ لنا في البشريّة، شبيه بنا في كلّ شيء ما خلا الخطيئة. قبل كلّ الدهور وُلد من الآب بحسب الألوهة، وفي الأيّام الأخيرة هو نفسه، لأجلنا ولأجل خلاصنا، وُلد من مريم العذراء والدة الإله، بحسب البشريّة. واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، ابن الله، الرَّبّ، الذي يجب الاعتراف به في طبيعتين متّحدتين دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال. وهو لم ينقسم ولم ينفصل إلى شخصين، بل واحدٌ هو، وهو نفسه الابن الوحيد، الإله الكلمة، الرَّبّ يسوع المسيح».

العنصرة

للقديس يوحنا الذّهبيّ الفم

١) أيها الأحبّاء لقد منحنا الله المحبّ البشر اليوم عطايا تتخطّى كلّ منطقٍ بشريّ. لذلك لنفرح كلّنا معًا ولنرقص بفرح مسبّحين **ربّنا**. لأن اليوم هو **عيدنا واحتفالنا**. كما أنّ عَصرًا يخلف الآخر ودورة شمس تخلف أخرى هكذا، **وفي الكنيسة عيدٌ يخلف آخر فتتوالى الاحتفالات الكنسيّة الواحد تلو الآخر**.

قبل أيّام احتفلنا **بالصليب بالآلام وبالقيامة**. بعدها بصعود **ربّنا يسوع المسيح** إلى السماء. اليوم نلتقي بقمّة الصالحات بأمّ الأعياد ونَصِلُ إلى تحقيق وعد **الرَّبّ**. يقول: «لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مُعزِيًّا آخَرَ. وَلَنْ أَدَعَكُمْ يَتَامَى» (يو ١٦:٧).

مواهب الرُّوح القُدُس:

أنظروا إلى مثل هذه المحبّة للبشر. قبل بضعة أيّام صَعِدَ إلى السماء وجلس عن يمين **الآب**، وأعطانا اليوم حضورَ **الرُّوح القُدُس**. هو يحرّرنا من العبودية الروحيّة. يدعونا إلى الحريّة. يقودنا إلى البنوّة، وبصورة عامة يُعيد ولادتنا من جديد ويُزيل عنّا حملَ الخطايا الثقيل.

بنعمة **الرُّوح القُدُس** نرى الكهنة الكثيرين كما نرى مصفّ المعلّمين من هذا **المَعين** تَخرج الموهبة النبويّة والقُوّة لشفاءِ الأمراض. وكلّ ما يتبقّى ويزيّن كنيسة **المسيح** يخرج من هناك. فيصرخ **بولس**:«هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ.» (١كور ١٢:١١).

يقول كما يَشاءُ لا كما أُمِرَ. قَاسِمًا لا مُقَسَّمًا. له سلطانٌ **لا سيادة عليه** لأن مِثْلَ هذه السلطة بالضبط التي لدى **الآب** ينسبها **بولس** أيضًا إلى **الرُّوح القُدُس**. عن **الآب** يقول: «وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (١كور ١٢:٦)، وعن **الرُّوح القُدُس** يقول أيضًا: «وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ.» (١كو ١٢: ١١).

قوة الرُّوح القُدُس:

أُنظر إلى مثل هذه السُّلطة الكاملة. لأنَّ الذين لديهم جوهرٌ واحدٌ لديهم سلطانٌ واحدٌ. والذين عندهم مرتبة واحدة، عندهم قوّة واحدة وسلطانٌ واحدٌ. **بالرُّوح القُدُس** نحصل على التحرّر من الخطايا ونتطهّر من كلّ دنس. بنعمته نحن البَشَر نصبح ملائكة. كلّ من لابس نعمته، دون أن تتغيّر طبيعته، بل يبقى في طبيعته البشرية لكنه مع ذلك يُظهر **مسلكًا ملائكيًا**. هكذا هي **قوّة الرُّوح القُدُس**.

كما **أنَّ النار** هذه التي نشاهدها عندما تقترب من اللَّبِنِ الليّن تجعل منه **قرميدًا قاسيًا** كذلك يحصل مع **الرُّوح القُدُس** عندما يتَّخذ نفسًا متعقّلة حتى ولو كانت ليّنة مثل اللَّبِنِ يجلعها **شديدة كالحديد**. كما أنَّ ذاك الذي كان **مُلطَّخًا بالخطايا** يجعله للحال **ألمع من الشمس**. هذا ما يعلّمنا إيّاه **بولس الرسول** عندما يقول: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١كور ٦:٩-١٠).

بعد أن عَدَّد أصنافَ الشرّ وأكدّ على أنَّ **مرتكبيها لا يرثون** ملكوت الله للحال يضيف: «هكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا.» (١كور ٦:١١).

أرأيت أيها الحبيب **قوّة الرُّوح القُدُس**؟ أرأيت كيف أنه يَمحُو **الشرَّ كلّه**. أولئك الذين كانوا قبلًا **عبيدًا لخطاياهم** يرفعهم للحال إلى الكرامة العلويّة.

أعداء الرُّوح القُدُس– مساواته للآب:

٢) من يقدر إذًا أنْ يرثي للذين يزدرون بمرتبة **الرُّوح القُدُس؟** الذين يعملون كلّ شيء لكي ينزعوا عن **الرُّوح الإلهي** مرتبته الإلهية ويجعلوه **من المخلوقات**. وأودّ أن أسألهم لماذا إلى هذا الحدّ تحاربون **الرُّوح القُدُس** بل خلاصنا. ألَا تريدون أن تفهموا كلام **المخلّص لتلاميذه**: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (متى ٢٨: ١٩).

ألم تروا في ذلك مساواة في الكرامة بين الأقانيم الثلاثة؟ بل انسجامًا تامًّا لأنَّ **الثالوث القدّوس** غير منقسم. ألَا تعلمون أنَّ الذي يحاول أن يغيّر شيئًا في أوامر الملك الأرضي **يُعاقب بقسوة؟** كيف إذًا نستطيع أن نسامح أولئك الذين يحاولون أنْ **يُشوّهوا** أقوال **مخلّص** الكلّ، الملك السماوي، ولا يريدون أن يسمعوا **بولس الرسول** يصرخ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كور ٢: ٩).

كيف نستطيع إذاً يا بولس أن نعرف هذه الأشياء كلّها؟

إنَّ **الرسول** بعد قليل يُجيب: «أَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ.» (١كور ٢: ١٠).

هذا كلّه قاله **الرسول** لكي يُبيّن قوّة **الرُّوح القُدُس** العظيمة ومساواته **للآب والابن** في الجوهر والقُوّة.

ثم يريد أن يوضح تعليمَهُ بأمثال من الحياة البشريّة اليومية فَيَضِيف: «لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ.» (١كور ٢: ١١). هذا كلّه أمرٌ عظيمٌ هام كافٍ ليبيّن مرتبة **الرُّوح القُدُس**.

لقد أعطانا **الرسول** مَثَلًا وقال: لا يستطيع إنسان أن يعرف ما في فكر الآخر هكذا فإنَّ **الرُّوح القُدُس** وحده يستطيع أن يعرف خصائص **الله**.

ومع ذلك كلّه لم يقتنع أولئك الذين **يحاربون الرُّوح القُدُس ويُنْزِلُون من شأنه ليضعوه في مصفّ المخلوقات**.

لكن لنقبل نحن العقائد **الإلهية** كإعلان **إلهي** ونقدّم **للرَّبّ** التمجيد اللائق مظهرين إيمانًا صحيحًا وَمُتَّبِعين الحقيقة بدقّة.

مواهب الرُّوح القُدُس:

لقد ذكرنا ما فيه الكفاية بالنسبة للذّين **يُعَلِّمُون عكس** ما يمليه علينا **الرُّوح القُدُس**. أمّا لكم أيها الأحبّاء فلا بُدَّ أنْ نقول: لماذا لم يمنحنا **الرَّبّ** الخيرات الكثيرة مباشرة بعد صعوده إلى السماء، بل جعل أن تمضي أوّلًا أيّام قليلة بقي فيها التلاميذ وحدهم، وبعدها أرسل إلى الأرض نعمة **الرُّوح القُدُس**. هذا كلّه لم يحصل بدون قصد وبطريقةٍ عَرَضِيَّة. يعرف **الرَّبّ** أنَّ الناس لا يتمتّعون بالخيرات التي بين أيديهم، ولا يُقَدِّرون قيمة الأمور الأساسيَّة الحسنة لو لم يوجد ما يعاكسها. أقصد ما يلي:

كلّ من كان صحيحًا في جسده لا يشعر ولا يعرف جيِّدًا كم هي الخيرات التي تأتي من صحّته، إنْ لم يكتسب خبرة المرض. كما أنَّ الذي ينظر إلى نور النهار لا يعتبر النور كفاية لو لم يَلِهِ **ظلام الليل**، لذلك خبرة ما يعاكس تُعَلِّمنا بإيضاح كيف نتمتّع بما حصلنا عليه سابقًا.

لذلك بالضبط تمتّعَ **التلاميذ** بخيرات كثيرة عندما كان **الرَّبّ** معهم، وقد أُعطوا مواهب كثيرة من جرّاء معاشرتهم **لله**. كانوا يرون عجائب كثيرة: (الموتى يقومون، البرص يطهرون، الشياطين يُطردون والمرضى يشفون...) فأصبح **التلاميذ** معروفين جدًا، لذلك جعلهم يُحْرَمُون ولوقتٍ قصير من القُوَّة التي كانت فيهم عندما كان معهم، حتى عندما يوجدون وحدهم، يتعلّمون ماذا منحهم حضور صلاح **الرَّبّ**.

وعندما يفهمون الصالحات التي أخذوها في الماضي يَتَقَبَّلون بعزم متزايد عطيّة **الرُّوح القُدُس**.

في الواقع **كانوا قلقين** لذا عزّاهم. كانوا حزينين بسبب انفصالهم عن معلّمهم فأنارهم بنوره الخاص. كانوا أمواتًا فأقامهم **وبدَّدَ غيمة الحُزن** وأخرجهم من الوضع الصعب.

كانوا قد سمعوا كلمات **الرَّبّ**: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ» (متى ٢٨: ١٩). ووُجدوا فيما بعد في **وضع صعب**، ولم يعلموا أينَ يجب لكلّ واحد أن ينطلق، وإلى أيّة ناحية من الأرض لكي يكرزَ بكلام **الله**. يأتي **الرُّوح القُدُس** بشكل ألسنة ناريّة ويوزّع على كلّ واحد أقطارَ الأرض إذ يعرفون أين يتجّهون للكرازة، وباللسان الذي أُعطي لهم عَرَفَ كلُّ واحدٍ إلى أين يتّجه، ومن يجب أن يُعَلِّم من الشعوب. لذلك ظهر **الرُّوح القُدُس** بشكل ألسنة نارية. هذا لكي يذكّرنا أيضًا **بقصّة قديمة**:

في السنين القديمة تشتّتَ الناس، وأرادوا أن يبنوا بُرجًا يصل إلى السماء وعن طريق بلبلة الألسن قضى **الله** على قرارهم الرديء (تك ١١: ١-٩). لذلك، بشكل ألسنة نارية، ينزل **الرُّوح القُدُس** لكي يوحّد المسكونة المشتّتة قديمًا.

﴿«إن الألسُنَ تبلبلَتْ وقتًا ما بسبب جسارة صانعي البرج. وأمَّا الآن فإن الألسُن قد حُكِّمَتْ لأجل رأي معرفة الله. فهناك لأجل الجريرة قاصَصَ الملحدينَ، وههنا المسيح بالرُّوح أنار الصيَّادين. في ذلك الحين اصطنع ازالة الأصوات للانتقام والآن فقد تجدَّد اتفاق النغمات لخلاص نفوسنا» «اللحن الثامن: الأبوستيخا غروب العنصرة ذكصا كانين الأينوس سحر اثنين الرُّوح القُدُس»﴾.

ثمار الرُّوح القُدُس– المحبة:

حصلَ شيءٌ عجيبٌ: كما أنَّهُ في السنين القديمة **قُسِّمت ألسنُ المسكونة** وَقُضِيَتْ على الوفاق الشنيع. كذلك اليوم جمعت ألسنُ المسكونة وأرشدتْ إلى اتفاق من كان منقسمًا. لذلك ظهر **الرُّوح القُدُس** بشكل ألسنة ناريّة من أجل **شوك الخطيئة الذي نبت فيها**.

لأنه كما أنَّ الأرض وهي خصبة وغنيّة عندما تُفلح تُخرج **أشواكًا كثيرة**. هكذا الطبيعة الإنسانية بينما هي حسنة من جهة خالقها وجديرة بكلّ عمل صالح، كونها لم تقبل محراثَ التَّقْوَى ولا زَرْعَ المعرفة **الإلهية**، أَنْبَتَتْ فينا **الإلحاد كأشواك** ونباتات أخرى غير مفيدة. وكما أنَّ سطح الأرض في كثير من الأحيان لا يَظْهَرُ من **كثرة الأشواك والعشب البرّي**، هكذا فإنَّ **شرفَ وطهارة نفسنا** لم تظهرا إلى أنْ أتى فلاّح **طبيعتنا البشريّة** ووضع

نارَ **الرُّوح القُدُس** فطهّرنا وَهَيَّأَهَا لكي تتقبّل الزَّرْعَ السَّماوي.

٣) إلى هذا الحدِّ وأكثر من ذلك كانت الخيرات في مثل هذا اليوم. لذلك أرجوكم لِنُعَيِّد وَفْقًا لأهمية الصالحات التي منحها الله لنا. لا بتزيين المدينة بل **بتجميل نفوسنا**، ولا بتزيين الأسواق باليافطات بل **بجعل نفوسنا تفرح بألبسة الفضيلة**، حتى نستطيع هكذا أن نتقبَّل نعمة **الرُّوح القُدُس** ونكسب الأثمار التي يمنحها لنا. ما هو **ثمر الرُّوح القُدُس؟** لنسمع **بولس** يقول: «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ...» (غلا٥: ٢٢). انتبهوا إلى دقّة الكلمات وسلسلة التعليم. وَضَعَ أَوَّلًا **المحبّة** وبعدها **ذكر الفضائل الأخرى**. وضع أوّلًا الأساس ثم أضاف بقيّة البناء. بدأ بالنبع ثم وصل إلى الأنهار.

في الواقع لا نستطيع أن نشعر أولًا بالفرح إن لم نحسب فرح الآخرين فرحنا، وإنْ لم نحسب خيرات الآخرين خيراتنا. إذًا لا نستطيع أن نصل إلى الثمار الأخرى إن لم **تَسُدْ فينا المحبَّة**.

المحبّة هي الجذر، النبع، أمّ الصالحات كلّها.

لأنه كجذر تجعل الفروع تَنْبُتُ وتُزْهِرُ بلا حدود. وهي كَنبعٍ يُخرج مياهًا غزيرةً، وكأمّ تجمع في أحضانها كلّ الذين يلجأون إليها.

هذا ما كان **بولس** يعرفه تمامًا. لذا سَمّى المحبّة ثمرَ **الرُّوح القُدُس** وفي مكان آخر أعطاها ميزة عظيمة حتى قال: «فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ.» (رو١٣: ١٠).

فاعتَبِرْهَا الميزة الأولى **لتلاميذه**: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ٣٥).

لذلك أرجوكم لنلتَجِئْ كُلّنا إليها. لنعانقْها وهكذا نتقبَّل العيدَ الحاضر لأنه حيث تكون **المحبّة لا تفعل أهواء النفس**. حيث تكون **المحبّة** تتوقّف **شهوات النفس الغريبة**. « يقول **بولس**: الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا» (١كور١٣: ٤-٥).

المحبّة لا تؤذي الآخرين، حيث **المحبّة لا يقتل الواحد أخاه**. أَخْرِجِ من قلبك **مصدر الفساد** تُخْرِجْ **أنهار الرذائل كلّها**. اقطع الجذرَ تقطع في الوقت نفسه الثمرَ أيضًا. أقول هذا لأني أحزن على الذين **يفسدون ويُبغِضُون** أكثر من المُبْغَضِين، لأن المُبْغِضِينَ هم الذين **يتأذّون** أكثر من غيرهم. لأن البُغْضَ إنْ تقبلّناه يصبح فرصة للإكليل والأجر.

أنظر أرجوك كيف أنَّ **الصدّيق هبيل** يُمدح ويُذكر يوميًا وَمَقْتَلُهُ أصبح له **مَدعاةً للمديح**. وهو بَعْدَ موته يتكلّم بحريّة ويدين قاتلَهُ بصوتٍ عالٍ. لكن **قاين أخاه** بقي في الحياة، أخذ أَجْرَهُ وَفقًا لأعماله، فبقي يَتَنَهَّد ويرتعد. أما **هبيل** الذي قُتل فقد ظهر بعد موته ذا دالةٍ كبيرة. كما أنَّ **خطيئة قاين** جعلته يعيش **حياةً شقيّة أشقى من الأموات**، كذلك **فضيلة هبيل** جعلته يعيش بعد موته أبهى من قبل.

لذلك ونحن أيضًا لِنكتَسِب دالة في هذه الحياة وفي الأخرى، لكي نتمتع بالفرح الناتج عن العيد **لِنَقْضِ** على **كلّ الألبسة الدنسة** التي للنفس، **وَلْنَتَعَرَّ** خاصة **من لباس الغيرة والحسد**...

أنتم إذًا الذين أصبحتم اليوم أبناء **الله**، الذين لَبِسْتُم هذا الِّلباسَ البَهِجَ حافظوا بكلّ الطرق على الفرح الذي أنتم فيه الآن، بعد أن أغلقتم **على الشرّير** من كلّ جانب لكي تتمتّعوا بفيض بنعمة **الرُّوح القُدُس**، ولكي تُعطوا أعمالًا حسنةً أضعافًا، ولكي تستحِقُّوا أن تواجهوا ملك السماوات، عندما ينبغي له أن يأتي ويوزّع الصالحات التي لا توصف لأولئك الذين عاشوا في هذه الحياة حياةً فاضلة، **بمعونة ربّنا يسوع المسيح** الذي يليق له المجد والقوّة الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

تابع من صفحة ٤

دعوته لعقد مجمع نيقية:

سنة ٣٢٥م دعا **قسطنطين الملك**، إلى **عقد مجمع مسكوني** لأوّل مرة في تاريخ المسيحية، ذلك لتثبيته الإيمان المسيحي الصحيح بعد أن لَحِقَ به الكثير من التعاليم غير الصالحة. فعُقِدَ المجمع **في نيقية ودحض كل الهرطقات كالهرطقة الآريوسية**، وبحث **في قضية تعييد الفصح وتحديده في تاريخ واحد**.

جلسات المجمع كانت بحضور **قسطنطين الملك** الذي كان همّه الوحيد تثبيت أركان المسيحية، وإبعاد أي **تعليمٍ كاذب** قد يلحق بها.

معموديته ورقادُهُ: بعد أن احتفل **قسطنطين** بمرور ثلاثين عامًا للعرش سنة ٣٣٥م، خرج لحرب **ضد شابور الثاني ملك الفرس**، الذي تنكَّر لتحالفه مع **قسطنطين وثار ضِدّ المسيحية**. لكن **قسطنطين الملك** تعرض لمرضٍ في هيلينوبوليس وَنُقِلَ على وجه السرعة إلى ضواحي نيقوميذية حيثُ جرت عمادتُهُ. بعد أن اعتمد وفي يوم العنصرة المجيدة من العام ٣٣٧م رقد **قسطنطين الملك**.

حَالَ رُقَادِهِ نُقل جسد **قسطنطين الملك** إلى **القسطنطينية** حيثُ جرت الصلاة عليه بحضور شعبي كثيف، ثم أُودع كنيسة القديسين الرسل، وسط الأضرحة الحجرية الفارغة للإثني عشر رسولًا.

القديسة هيلانة:

خبرُها: هي الابنة الوحيدة لـ «**كول**» **الملك الإنكليزي** الذي إليه يُعزَى بناء أسوار **مدينة كولشستر** وتجميلها. وهي الزوجة الأولى لقسطانس كلور، وابنها هو **قسطنطين الملك**، سلكت في الكمال المسيحي بِجِدٍ كبير، لا سيما في التَّقوَى وعمل الإحسان. كانت تتناسى قدرها كإمبراطورة فتبادر إلى مؤازرة الكنائس، وتسلك بين الناس بلباس عادي متواضع. صارت أُمًّا للمحتاجين والمضنوكين. **بنت الكنائس وأغنتها بالزينة والآنية الثمينة.**

قادت رحلة حج إلى فلسطين والأماكن المقدسة بعون ابنها الملك، وهناك وفي موضع الجلجلة، وجدت **الصليب الكريم المقدس**، فنقلته بعناية وتكريم مقرونًا باحتفال مَهيب من قِبَل الكنيسة والشعب إلى **القسطنطينية**.

حول إنجيل العنصرة

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس يوحنا الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (يوحنا ٧:٣٧-٥٢ و ٨:١٢)

في اليوم الآخِر العظيم من العيد كان يسوع واقفًا فصاح قائلًا: إن عَطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرب ✻ من آمن بي فكما قال الكتاب ستجري من بطنه أنهار ماءٍ حيٍّ ✻ (إنَّما قال هذا عن الرُّوح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوهُ إذ لم يكن الرُّوح القُدُس بعدُ. لأنَّ يسوع لم يكن بعد قد مُجِّد) ✻ فكثيرون من الجمع لمَّا سمعوا كلامهُ قالوا: هذا بالحقيقة هو النبيُّ ✻ وقال آخرون: هذا هو المسيح ✻ وآخرون قالوا: أَلعلَّ المسيح من الجليل يأتي؟ ✻ أَلَمْ يقُل الكتاب انه من نسل داود من بيت لحم القرية حيث كان داود يأتي المسيح؟ ✻ فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلهِ ✻ وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يدًا ✻ فجاءَ الخُدَّام إلى رؤَساء الكهنة والفريسيين، فقال هؤُلاءِ لهم: لِمَ لَمْ تأتوا بهِ؟ ✻ فأجاب الخدَّام: لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثل هذا الإنسان ✻ فأجابهم الفريسيون: ألعلَّكم أنتم أيضًا قد ضَلَلْتُم؟ ✻ هل أحدٌ من الرؤَساءِ أو من الفريسيين آمن بهِ؟ ✻ امَّا هؤُلاءِ الجمع الذين لا يعرفون الناموس فهم ملعونون ✻ فقال لهم نيقوديمُس الذي كان قد جاءَ اليه ليلًا وهو واحدٌ منهم: ✻ ألعلَّ ناموسنا يدين إنسانًا إن لم يسمع منهُ أولًا ويَعلم ما فعل؟ ✻ أجابوا وقالوا لهُ: ألعلّك أنت أيضًا من الجليل؟. ابحث وانظر انَّهُ لم يَقُمْ نبيٌّ من الجليل ✻ ثم كلّمهم أيضًا يسوع قائلًا: أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة .

أخذ المسيح على عاتقه أن يشبعنا ويروينا خلال رحلتنا في هذا العالم حتى نصل إلى السماء حيث الخبز السرّي والماء السرّي. لذلك، في العهد القديم، حيث كانت الأمور بالصور والرموز، كان المسيح الصخرة التي تفيض ماء والمنّ الذي أكله الشعب. أما في العهد الجديد فقد أعطانا جسده ودمه بشكل واضح. وليس هذا فحسب بل دعانا لأن نأتي إليه حين نعطش فنشرب، وليس لنشرب فقط، بل لأن نتحوّل في داخلنا لصخرة يفيض منها الماء للآخرين. بطن الإنسان هو داخل نفسه وإرادته، هو الإنسان الداخلي حيث يقوم ملكوت الله.

إنّ دور الإنسان في طلب الرَّبّ أساسي ولهذا قال «**إن عَطِشَ أحدٌ**». مَن لا يعطش لا يبحث عن الماء. ولأن الرَّبّ يتكلم عن العطش الرُّوحي، فكلامه يعني **أنَّ غير المهتم لن يبحث عن المسيح، والفاتر لن يبحث عنه، والمتكبّر لن يبحث عنه**. العَطَشُ هو الشعور بالاحتياج للمسيح. أما من لا يشعر بهذا الاحتياج فهو **الذي لا يؤمن بالمسيح ولا يثق به ويحبه**، وبالتالي لا يسلم له حياته ويقبله كملك بالمحبة ويؤمن بألوهيته، ويجري إليه طالبا الامتلاء من **الرُّوح القُدس**.

أما الأنهار التي تجري من داخل الإنسان، فهي مواهب **الرُّوح** وبركاته التي بها يصير المؤمن بركةً لغيره. فهي تجري لأن المؤمن **بالمسيح** يتّحد به، ومتى فتح فمه يتكلّم **الرُّوح** الذي في داخله. وهذا الكلام ينطبق على الكنيسة التي تجري من بطنها الأسرار التي تفيض بِغِنَى **الرُّوح القُدس** على أولادها.

وكون **المسيح** هو مصدر الارتواء، فهو وحده الذي يُشبع النفس والرُّوح. النفس لا تشبع حقًّا سوى من الله ولا يكفيها كل ما في العالم. لهذا، **لا يحلّ مشكلة الإحساس بالفراغ والعزلة، التي يعاني منها هذا الجيل**، سوى **المسيح** ومحبته. ولكي يحمل الواحد منا **المسيح** ويفيض به على الآخرين كما يقول الرَّبّ في الإنجيل، يجب أن يكون ممتلئًا منه. **الرُّوح القُدس**، من اليوم الذي أرسله **الرَّبّ**، صار يسكن فينا ويملؤنا بحسب جهاد كل واحد. وبقدر امتلاء كل واحد، تظهر ثمار الرّوح الذي فيه، سلامًا ومحبة وتعليمًا على قدر ما أُعطي له.

يفسر الإنجيلي يوحنا كلام **المسيح** عن الماء بأنه إشارة إلى **الرُّوح القُدس**، لأنّ **المسيح** لم يكن بعد قد مُجِّد. لكن **المجد بدأ بالصليب** الذي هو قمة رفض هذا العالم. لهذا، **من يُقبل على ملذات هذا العالم يكون بلا مجد، لأن العالم باطل. المسيح** في صليبه لم يَخَف من الموت، وهذا قمة المجد الذي يشمل **الصليب والقيامة**، أي غلبة الموت، والصعود إلى السماوات. هذا كلّه قد تمّ، وها نحن نعرف اليوم مجد **المسيح**. لهذا، علينا أن نسعى إليه لنحصل عليه ونشترك به. هذا المسعى لا يكون إلّا بحياة صالحة ترضي **الرَّبّ**. وكما أكّد **ربّنا يسوع المسيح** في سفر الرؤيا: « هأَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.» (رؤ ٣: ٢٠). فلنقتدِ **بالرسول بولس** القائل: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ،...» (٢تي ٤:٧). **لنفوزَ** بنعيم الملكوت الذي أعدّه **الرَّبّ** لنا قبل الدهور. آمين

يَرُدَّ **القديس أثناسيوس** على **تعاليم الآريوسيين الخاطئة** الذين **ينكرون أُلوهِيَّة الابن المُتَجَسِّد** حاسبين إياه ضمن المخلوقات، فيوضح التفسير الصحيح للآية: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ، أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ» (عب١:٨-٩) مُبَيِّنًا **أُلوهِيَّة السيِّد المسيح** ويعطي شرحًا لثمرة حلول **الرُّوح القُدُس** عليه وقت **معموديته** في الأردن فيقول: « انظروا أيُّها الآريوسيون وميزوا الحقيقة هنا أيضًا. فالمرنم يقول، إنَّنا جميعًا «شركاء» **الرَّبّ**. فلو كان **اللوغوس من العدم**، وكان هو واحدًا من المخلوقات، لكان هو أيضًا واحدًا من الشركاء. فماذا يجب أن يفهمه الواحد منا، غير أنه آخر غير المخلوقات (مُختلف عن المخلوقات)، وإنه هو وحده **كلمة الحقّ**، وهو البهاء والحكمة التي تُشَارِكُ فيه جميع المخلوقات، وهي تَتَقَدَّس منه **بالرُّوح؟** ولذلك فهو هُنا « يُمْسَحُ» لا لكي يصير **إلهًا**، لأنه كان **إلهًا** حتى قبل أن يُمْسَحَ، ولا لكي يصير ملكًا، لأنه قد كان هو المالك على الدوام، إذ أنه **صورة الله** كما يقول الوحي:«الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ **صُورَةُ اللهِ**.» (٢كو٤:٤). «الَّذِي هُوَ **صُورَةُ اللهِ** غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.» (كولُسي١:١٥). بل أنَّ هذا أيضًا (أي أنه مُسِحَ) قد كُتب من أجلنا. لأنه عندما كان الملوك – أيام إسرائيل – يُمسحون، فعندئذٍ فقط كانوا يصيرون مُلوكًا، حيث إنهم لم يكونوا ملوكًا قبل مَسْحِهِمْ، وذلك مثل **داود وحزقيا ويوشيا** وغيرهم.

أمَّا **مملكة الآب** هو نفسه مانح **الرُّوح القُدُس**، إلَّا أنَّهُ يُقال الآن إنه يُمسَحُ. لكنه كإنسان يُقال عنه إنه **يُمسَحُ بالرُّوح**، وذلك حتى يبني فينا نحن البشر **سُكنى الرُّوح** وأُلفته تمامًا مثلما وَهَبَنَا **الرِّفعة والقيامة**. وهذا ما عناه هو نفسه عندما **أكَّد الرَّبّ** عن نفسه في الإنجيل بحسب **يوحنا**: أنا قد أرسلتهم إلى العالم « وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ.» (يو١٧:١٨، ١٩). وقد أوضح بقوله هذا أنه ليس هو **المُقدَّس** (تشديد وفتح الدال) بل **المُقدِّس** (تشديد وكسر الدال). لأنه لم **يُقدَّس** من آخر بل هو **يُقدِّس** ذاته، حتى نتقدَّس نحن **في الحقّ**. وهذا الذي **يُقدِّس** ذاته إنما هو **رَبّ** التقديس. كيف إذن حدث هذا؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى إنه: « **وأنا الصائر إنسانًا أُقدِّس نفسي (في الآب) لكي يتقدَّس الجميع فيَّ. أنا الذي هو الحقّ**.» لأنَّ «كلمتك هي الحقّ»،«قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق» (يو ١٧:١٧). إذن فإنْ كان يُقدِّس ذاته من أجلنا، وهو يفعل هذا لأنه قد **صار إنسانًا**، فمن الواضح جدًّا أن **نزول الرُّوح** عليه في الأردن، إنما كان نزولًا علينا نحن بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقيه **اللوغوس**، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في مِسْحَته، ولكي يُقال عنَّا «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١كو٣:١٦)، فحينما **اغتَسَلَ الرَّبّ** في الأردن **كإنسان**، كُنَّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته. وحينما **اقتبل الرُّوح**، كُنَّا نحن الذين صرنا **مقتبلين للرُّوح بواسطته**. ولهذا السَّبب، فهو ليس **كهارون، أو داود** أو الباقين – قد مُسح بالزيت هكذا – بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه – أي «بزيت الابتهاج» – الذي فُسِّرَ أنَّه **يعني الرُّوح** . قائلًا **بالنبي**: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي» (إش٦١:١)، كما قال **الرسول** أيضًا: «كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (أع١٠:٣٨). متى قيلت عنه هذه الأشياء – إلَّا عندما صار **في الجسد** واعتمد في الأردن، «وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ» (مت٣:١٦). وحقًا يقول **الرَّبّ لتلاميذه**: إنَّ «الرُّوح يَأْخُذُ مِمَّا لِي» (يو١٦:١٤)، و «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ.» (يو١٦:٧)، و«اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يو ٢٠:٢٢). إلَّا أنه في الواقع، هذا الذي يُعطي للآخرين **ككلمة وبهاء الآب** يُقال الآن إنه **يَتَقَدَّس** وهذا من حيث إنه **قد صار إنسانًا**، والذي يَتَقَدَّس هو **جسده** ذاته. إذن فمن ذلك (الجسد) قد بدأنا نحن الحصول على المِسْحَةِ والختم، مثلما يقول **الإنجيليّ يوحنا**: « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ» (١يو٢:٢٠). **والرسول** يقول: «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ» (أف١:١٣). ومن ثمَّ فهذه الأقوال هي بسببنا ومن أجلنا، فأي تقدم في الارتقاء، وأي فضيلة أو عمومًا أي أجر عُمِلَ **للرَّبِ**، يتضح من هذا؟. ■

المسامحة

منذ سنوات عدّة التحق **الأخ جبرائيل بأحد الأديار**، وبدأ حياته الرهبانيّة بجدّيّة وحماس. أخذ هذا **الأخ** يتقدّم، يومًا بعد يوم، في الفضيلة فكان الأوّل في الطاعة والوداعة و...

لاحظ **رئيس الدير**، يومًا الأخ جبرائيل يمرّ كلّ يوم سبت بعد صلاة الغروب على قلالي إخوته الرهبان يطلب منهم المسامحة قائلًا: «باركوني واغفروا لي» فكان يسمع ردّ الرهبان له: «ليبارِكْك الله ويغفر لك»، فظنّ للوهلة الأولى بأنّ الأخ جبرائيل ارتكب ذنبًا ما، وهو يطلب المسامحة عليه.

ولكن، ولمّا تكرّر الأمر لأسابيع وشهور، استدعى **الرئيس الراهب** المجاهد، وسأله:

— أراك، يا بُنيّ، تَمرّ على قلالي الرهبان بتواتر تطلب منهم المغفرة، فهل أخطأت إليهم؟ وإن كان قد حصل ذلك، فلماذا لم تعترف لي به؟

— كلا، يا أبي، فأنا، بمعونة **الله** وصلواتك، حريص جدًّا ألّا أُزعج إخوتي الرهبان بتصرّفاتي أو بأقوالي.

— ولكن لماذا إذًا تقوم بهذا العمل كلّ يوم سبت فقط؟

— سامحني، يا أبي، لقد سبق لي أن قرأت في كتاب روحيّ قديم وجدته صدفة في مكتبة الدير، أنّ كلّ يوم سبت بعد **صلاة الغروب** تجتمع **الملائكة** الحارسون أمام عرش **الله** لتقدّم تقارير عن تصرّفات البشر، فيأتي كلّ **ملاك** حارس، ويسجد أمام العرش **الإلهيّ** حيث يجلس **الرَّبّ يسوع المسيح** الديّان، ويبلّغه أعمال الناس. فيفرح **الرَّبّ** بالأعمال الصالحة ويبارك عامليها، ويحزن للأعمال السيّئة، آملًا أن يتوب مقترفوها، لئلّا يُحكَم عليهم **يوم الدينونة الرهيب مع الأشرار**، وتصير الجحيم نصيبهم إن لم يتوبوا.

ولذلك، تراني يا **أبي القدّيس** أسامح الآخرين على أقلّ الهفوات الصادرة منهم، وأطلب أنا أيضًا مسامحتهم لي على زلّاتي تجاههم لأفلت من دينونة **الله** الرهيبة والقضاء الأبديّ.

أحكام الله

حدث يومًا أن ابتهل شيخ قدّيس إلى **الله** لكي يكشف له السرّ التالي: لماذا **مُعظم الصدّيقين والأتقياء فقراء يشقون ويُظلَمون**، فيما العديد من **الخطأة والظالمين أغنياء يتنعّمون**؟ وكيف تُترجَم أحكام **الله** هذه؟

وإذ أراد **الله** أن يكشف له سُؤْلَ قلبه سمع صوتًا يقول له أن «اذهبْ إلى العالم وسوف ترى تدبير **الله**».

لم يتباطأ الشيخ في طاعة الصوت **الإلهيّ**، بل قام وغادر للحال قلّايته باتّجاه العالم. فوجد نفسه يسلك طريقًا واسعًا يعبره الناس بكثرة، وكان هناك مرج فسيح وصُنبور ماء عذب. اختبأ الشيخ في جوف إحدى أشجار المرج مُترقّبًا منتظرًا.

وبعد هنيهة مَرَّ بالمكان رجل غنيّ، فترجّل عن حصانه وجلس ليأكل. ثمّ أَخْرَجَ كيس نقود يحوي مئة ليرة ذهبيّة وأخذ يعدّها. ولمّا انتهى من عدّها أعادها إلى الكيس على أن يضعه بين طيّات ثيابه حيث كان أوّلًا عندما يفرغ من طعامه. وفي هذه الأثناء سمع صوتًا يناديه، فأسرع بسرعة البرق، وامتطى جواده من جديد وانطلق في طريقه مُخلّفًا وراءه ذهبيّاته الثمينة.

لم يمضِ زمن قليل حتّى مرّ بالموضع نفسه عابر سبيل آخر، هذا وجد كيس النقود موضوعًا على الأرض، فالتقطه وحثّ خطاه مبتعدًا.

وبعد ذلك أتى رجل ثالث، وكان فقيرًا متعبًا ينوء تحت حمل ثقيل يحمله على منكبيه، وهو يسير على قدميه متمهّلًا. فجلس هو أيضًا هناك ليرتاح. وفيما هو يخرج خبزة يابسة ليأكلها، جاء الغنيّ ووقع عليه **قائلًا بغضب**: «**أسرع وأعطني النقود التي وجدتَها**». فأجاب الفقير بيمين معظّمة بأنّه لم يجد شيئًا من هذا القبيل. حينئذ ابتدأ الغنيّ يضربه بسير الحصان الجلديّ. وبضربة على أمّ رأسه **أصاب منه مقتلًا**، فأردَاهُ صريعًا، ثمّ شرع يفتّش ثياب الفقير وأغراضه كلّها، ولمّا لم يعثر على شيء ذهب **والندم يتأكّله**.

أمّا الأب الشيخ الذي كان يشاهد كلّ شيء، فأخذ ينتحب مدمّى

الفؤاد من **جرّاء القتل الجائر**، متوسّلًا إلى **الرَّبّ**: « **يا تُرى ما هي مشيئتك، يا ربّ، وكيف يحتمل صلاحك هذا الأمر؟!!**». وللحين حضره **ملاك** خاطبه قائلًا: «لا تحزن، أيّها الشّيخ، لأنّ جلّ ما يحصل إنّما يحصل بحسب مشيئة الله، وتدبيره من أجل التأديب والخلاص. اعلم أنّ الذي أضاع المئة الذهبيّة هو جار لذاك الذي وجدها. هذا الأخير هو صاحب بستان يساوي مئة ليرة ذهبيّة، وقد أخذه منه الغنيّ الجشع بخمسين فقط، وبطريقة غير قانونيّة. وبما أنّ البستانيّ الفقير توسّل إلى الربّ أن يأخذ العدل مجراه، فشاء الله أن ينال مطلبه مضاعَفًا إذ حصل على مئة بدلًا من خمسين.

أمّا ذاك الذي قُتِلَ ظُلمًا، فكان ارتكب جريمة قتل هو نفسه في الماضي، فإذ أراد الله أن يخلّصه ويطهّره من خطيئة القتل، بما أنّه كان قد قام بأعمال حسنة قد أرضت الله، دبّر أن يُقتل هو ظلمًا لتخلص نفسه.

أمّا الجشع الطمّاع الذي سَبَّب القتل، فقد كان مزمعًا أن ينتهي أمره في الجحيم بسبب محبّته للفضّة. لذا سمح الله أن يقع في خطيئة القتل لكي تتوجّع روحه، فيطلب التوبة والرحمة. وها هو الآن قد ترك العالم وذهب يطرق باب أحد الأديار ليترهّب ويعيش حياة الانسحاق والندم ويبكي على خطاياه.

أمّا أنت، فعُدْ الآن إلى قلاّيتك، ولا تكثر من فحص أحكام الله لأنّها بعيدة عن الكشف والتنقيب».

إنّنا نحن معشر البشر نحاول أن نبحث عن أمور **لا تُحدَّد** تفوق قدراتنا. فحيث يضع الله نقطة مثلًا، لا نستطيع نحن أن نستبدلها بعلامة استفهام. وكخاتمة فلنسمع **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم** يدعونا قائلًا: «الأحزان تولّد الصَّبر، ومحبّة الله تعرف مقدار تحمّلنا للأحزان. العناية الإلهيّة لا تُفسَّر واهتمامه بنا لا يُدرَك. إنّ أحكام الله عميقة جدًّا وبعيدة عن الاستقصاء».

أخبر **الشيخ افرام من إسقيط القديس أندراوس سيراي، جبل أثوس**، القصة التالية:.

أحد **الرهبان** في جبل **آثوس** وكان حاصلًا على **الإسكيم الكبير**، **خلع ثوبه وأنكر نذوره الرهبانية**، وعاد إلى العالم ليعيش حياته. عاش بشكل مُسرف، **وسقط في كثيرٍ من الخطايا الجسدية**، ثم تزوّج في النهاية وأنجب ولدين. ذات يوم ذهب مع أسرته إلى البحر للسباحة. على الشاطئ، إذ كان مستلقيًا تحت المظلة، اقترب منه ولده الصغير وقال: «**بابا، لماذا يوجد صليب كبير على صدرك؟ وماذا تقول الحروف الحمراء عليه؟**».

رُؤْيَا الابن الواضحة **صدمت الأب** إلى درجة أنه أصرّ على العودة إلى المنزل. هناك حبس نفسه في غرفته، وراح يبكي طوال الليل. في اليوم التالي مضى واعترف وقال له **الأب الروحي**: «المسيح، رغم أنك أنكرته مرارًا وتكرارًا، لا يزال يحبّك دون قيد أو شرط! بالقدر الذي كان يحبّك بلا حدود عندما كنت راهبًا، لم يزل يحبك الآن!».

كانت هذه الكلمات بمثابة ضربة في قلبه فمضى وكشف الحقيقة الكاملة لزوجته، واتفقا على العيش منفصلَين بالتراضي إلى أن عاد إلى الدير، بينما زوجته اعتنت بأطفالهما في البداية ثم أصبحت فيما بعد راهبة.

ثم بعد سبعة عشر عامًا، قام الابن الذي شاهد الأحرف على صدر والده بزيارة **لجبل أثوس، إلى نفس الدير الذي كان يعيش فيه والده**، لكن دون أن يدرك ذلك. ذهب إلى **رئيس الدير** وطلب الاعتراف. بعد الاعتراف، سأل **رئيس الدير**: «أبتي، أنا أبحث عن والدي. لقد أصبح راهبًا وطوال هذه السنوات لا أعرف أين هو. هل تستطيع مساعدتي؟».

فهم **رئيس الدير** ابن مَن يكون هذا الشاب وحاول جاهدًا إخفاء دموع انفعاله وقال له: «يا بُنَيّ، ابقَ هنا اليوم، وسأخبرك غدًا.» .

مضى **رئيس الدير** إلى الراهب والد الشاب وأخبره وقال له: «يا بُنَيّ لقد جاء ابنك الصغير إلى الدير باحثًا عنك. هل تودّ رؤيتَه؟» .

تأثر **الراهب** ولكنه في نفس الوقت كان **مُضطربًا**، فأجاب: «**أيها الشيخ، لقد جاء ملاكي الحارس إليّ وأخبرني بأنني سأغادر هذا العالم بعد ثلاثة أيام! أخبر ابني أنه بعد ثلاثة أيام يراني. وعندما أستريح تكشف له أنني أبوه! فأنا بحاجة إلى تثبيت قانوني لكلّ ما فعلتُه في حياتي**» .

كانت كل أعمال هذا الراهب أعمال **توبة كاملة**، لذا كان قراره بعدم رؤية ابنه **محبة إلهية!** ذهب **رئيس الدير** إلى الشاب وأقنعه بالبقاء لثلاثة أيام أخرى في الدير. **في الجنازة** التي جرت بعد ثلاثة أيام، كان الابن حاضرًا. بعد الانتهاء قال **لرئيس الدير**: «لم أرَ مثل هذه الجنازة من قبل! لا بُدَّ أنَّ هذا الراهب كان ذا قداسة عظيمة. هذا راهب حقيقي!».

بعد أن **واروه الثرى**، كشف **الرئيس** للشاب: «**يا بُنيّ، كان هذا الرَّاهب أباك!**».

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الحادي عشر

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ.» (متى ٢٣:٨).

«اِحْتَرِزُوا مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ وَأَوْصَاهُمْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي حَقِّ الْقَرِيبِ.» (يشوع بن سيراخ ١٧:١٣-١٤).

خلال رحلتنا القصيرة في الحياة، يلعب الزَّمن دور القبطان. وهذه الرحلة عبارة عن مسيرة اختبار يتساقط عليها من وقت لآخر بعض النَّدَى **الإلهيّ** الذي يجفّ بسرعة. ولا تلبث الغيمة المضيئة أن تبتعد فيعود الإنسان من جديد إلى **عالم الأنين والرتابة**. عندما أضاءَ نور ثابور **بالقدرة الخالقة** وبالجمال والعظمة، أراد **بطرس** أن يبقى هناك إلى الأبد... ولكن مسيرة الاختبار لم تَكُن قد انتهت بعد.

كان **الأسقف نكتاريوس** وصديقاهُ صامتين على متن الباخرة التي تعبر بحر إيجة. وكان الطقس **متجهّمًا** في البداية، ثمَّ أصبحَ صافيًا. فقال الأب جدعون **للأسقف يوشافاط**:

– لقد كان الصيف قصيرًا ! وصارت الأشهر الثلاثة الحارَّة من الماضي.

فردَّ **يوشافاط**:

– هذا الجبل المقدَّس هو بلد بكامله بسمائه وأرضه.

– فقط.

– طبعًا فأنا عندما أتكلَّم عن السَّماء ...

– انه جزء من عظَمة الإمبراطوريَّة وقد نبتت في أرض الزَّهرة الإلهيَّة: أعني الحياة الرهبانيّة.

– تمامًا.

– أريد أن أنسَى كُل الأمور المزعجة. فأنا لم أشعر في حياتي بسعادةٍ كهذه عند لقائي السَّماء.

فتمتم **يوشافاط**:

– لقد تعثّرت في دير خيروبوتاموس، حيثُ رأيت أربعة رُهبان سمينين يسيرون في الغابة، حاملين أكياسًا ملأى بالقمح. وقد تقاتلوا بسبب الطعام، وكانوا على وشك أن يدفع بعضهم البعض من أعلى الهاوية.

– لِمَ لا تُفكِّر عِوَضَ ذلك يا أخي برهبان **الإسقيط القديسة حنّة**.

– آه أجل هؤلاء.

– لقد رَفَعَتْهُم صلاتَهُم المتواصلة والتأمُّليَّة إلى قِمَم عالية حيثُ يتلقَّونَ باستمرار رسائل من العُلَى حول الحقائق الحاليَّة والمستقبليَّة.

في هذه اللحظة توقَّفَ جدعون عن الكلام وانقطع الحوار. وكان **الأسقف نكتاريوس** – دليلهما – واقفًا أمامهما بقلنسوته وَجُبَّتِهِ القديمة، وهو يتأمَّل الغيوم البيضاء في السَّماء ويبتسم.

– وأنتَ يا صاحب السيادة، ما رأيك؟ هل قُمتَ بزيارة الآباء النُسَّاك في **إسقيط القديسة حنّة**؟

– لماذا تطرح عَلَيَّ هذا السؤال؟

– لأنَّنا افترقنا في ذلك المكان

فأجابَ **الأسقف نكتاريوس**:

– أجَل لقد رأيتهم.

– وما رأيكَ فيهم ؟

– إنَّهم متَّحِدون بالله. ولا يَسَعك أن تعرف أكثر من ذلك. إنَّهم يُجاهدون. ولذلك فانَّ الرُّوح القُدُس الذي يسكن فيهم بالكلمة الحيّ هو يملأهم بالمواهب ويرفعهم نحو العلويَّات.

ثمَّ سادَ صمت قَطَعَهُ **يوشافاط** قائلًا:

– إنَّ الانسان المؤمن إنسان سعيد. فهو يشعر جدًا بجمال غناء العصفور وأبيات الشعراء. انَّه ينسَى ضربات عدوّه، وإذا أَصَرَّ فيذهب إليه ويقرع بابه، ويقرع حتى يطلب المغفرة.

– إنَّها أفكار جميلة ... وانا أفكر بالكتابة عن القديسين. فهناك أُناس يعبدونهم بدل أن يُجِلُّوهم ويحترموهم. لقد أَكَّدَ الرَّبّ لتلاميذه الذين دُهشوا لعجائبه، أنهم فيما بعد وعلى درب الخلاص، سوفَ يقومون بأعمال أعظم من أعماله. كُل عمل صالح نؤدِّيه، نحن الترابيين، يجب أن نَعْزُوهُ إلى **المخلِّص ابن الله** الكليّ الوداعة له المجد مدى الدهور.

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار

لأبينا القديس كيرلُّس رئيس أساقفة أورشليم

في العُمَّادِ : المراسيم الافتتاحيّة

العظة الحادية والعشرون

الثالثة في الأسرار – في مسحة الميرون

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ. لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ، بَلْ لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ...وَالآنَ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، اثْبُتُوا فِيهِ، حَتَّى إِذَا أُظْهِرَ يَكُونُ لَنَا ثِقَةٌ، وَلاَ نَخْجَلُ مِنْهُ فِي مَجِيئِهِ.» (١٢يو ٢: ٢٠-٢٨).

١) – قَبِلتُم مسحة المسيح أي الرُّوح القُدُس

ها انكم «اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧)، فاصبحتم على مثال صورة **المسيح ابن الله** (رومة ٨: ٢٩). لأن **الله** الذي اختارنا لأن نكون ابناء بالتبَنّي (أفسس ١: ٥) جعلنا على صورة جسد **المسيح** المجيد (فيلبي ٣: ٢١). وبما انّكم اصبحتم شركاء **المسيح** (عبر٣: ١٤)، فانتم مدعوّون بحقّ «مسحاء». وعنكم قال **الله**: «لَا تَمَسُّوا مُسَحَائِي» (مز ١٠٤: ١٥).انكم اصبحتم مُسحاء بتلقيكم ختم **الرّوح القُدُس**. كُل شيء تمَّ فيكم بالامتثال، بما انّكم صورة **المسيح**. وعندما تَعَمَّدَ **المسيح** في نهر الأردن، ومنح المياه ملامسة أُلوهِيَّته، صَعِدَ منها، فَحَلَّ **الرُّوح القُدُس** بذاته عليه، واستقرَّ المُشابِهُ على المُشابَهِ له. وانتم كذلك، عندما خرجتم من بِرْكة المياه المُقَدَّسة، قَبِلتُم المِسحَة (الميرون)، وهي الصورة الحقيقيّة لِمَسْحَةِ **المسيح**، واعني بها **الرُّوح القُدُس** الذي تحدَّثَ عنه **الطوباوي اشعياء**، إذ تنبَّأ عنه وتكلَّم على لسان **الرَّبّ** قائلًا: «إِنَّ رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ.. » (أشعيا ٦١: ١ ، لوقا ٤: ١٨).

٢) – المسيح مسحة الرُّوح القُدُس

لأنَّ **المسيح** لم يُمسَح بزيت أو بدهن مادّي على يَدِ انسان، لكن **الآب** الذي سَبَقَ واختاره ليكون **مُخلّص** العالم اجمع، **مَسَحَهُ بالرّوح القُدُس**، على حدِّ قول **بطرس**: « ...يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. » (اعمال ١٠: ٣٨). كذلك أعلَنَ **النبيّ داود**: «كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.» (مز ٤٤: ٧-٨ ، عبر ١: ٨-٩). لقد صُلِبَ **المسيح** وَقُبِرَ وقام فعلًا، بينما انتم في العمّاد اعتُبِرتُم جديرين بأن تُصلَبوا وتُدفَنوا وتَقُوموا معه على مثاله، وكذلك هي الحال بما يختصّ بالمسحة. لقد مُسِحَ **المسيح** بزيت البهجة الرّوحي أي **بالرُّوح القُدُس**؛ وقد سُمِّيَ «زيت البهجة» لأنّه أصل البهجة الرُّوحيَّة. أمَّا انتم فمُسِحتُم بالدُّهن وصرتم أصحاب وشركاء **المسيح**.

٣) – يُمسَح الجَسَد وتُقَدَّس النفس بالرُّوح القُدُس

ولكن احذر من أن تظن أنَّ الدهن ليسَ إلَّا دهنًا. لأنه كما أنَّ خبز الإفخارستيَّا بعد استدعاء **الرُّوح القُدُس** لم يَعُد خبزًا عاديًا، انما صار جسد **المسيح**، كذلك هذا الدهن المقدَّس لم يَعُد بعد الاستدعاء دُهنًا بسيطًا عاديًا، ولا دُهنًا مشتركًا، اذ صَحَّ القول. انه عطاء **المسيح** وقد أصبح بحضور **الرّوح القُدُس** مانحًا لاهوته. بهذا الدُهن مُسحتَ رمزيًا على جبينك وسائر حواسِّكَ. وفي الوقت الذي يُمسَح فيه جسدك بالدُهن المنظور، تُقَدَّس نفسك **بالرُّوح القُدُس** المُحيي.

٤) – معنى المسحة على مختلف أعضاء الجسد

لقد مُسحتم أوَّلًا **على الجبين** لِتُعْتَقُوا من **وصمة العار** التي كان يحملها في كُلِّ مكان **الانسان الأوَّل العاصي** (تك ٣: ٧-١٠)، «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ **بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ**، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ.» (٢كور ٣: ١٨). ثمَّ على الآذان، لتحصُلوا على آذان تسمع الأسرار الإلهيّة، وهي التي قال عنها **أشعياء**: «أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ ... **أُذُنًا**، لأَسْمَعَ» (اشعيا٥٠: ٤)؛ **والرَّبُ يسوع** في الإنجيل: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.» (متى١١: ١٥). ثمَّ على المناخر ، حتى عند قُبولكم هذا الدهن يمكنكم القول: «لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ للهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (٢ كور ٢: ١٥). بعد ذلك على الصدر، لكيما، بعد ان تدرَّعتم بدرع البرّ، تستطيعون مقاومة **إبليس**. «الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ...فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ» (افس ٦: ١١-١٦). وكما انَّ **المخلِّص**، بعد عُمَّاده وحلول **الرّوح القُدُس**، خرجَ لِيُحارب **العدوّ**، كذلك أنتم، بعد **العُمَّاد المقدَّس** والمسحة السريّة، وبعد أن تسلَّحتم بسلاح **الرّوح القُدُس**، قاوموا **قوّة الشرّ** وحاربوها قائلين: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي.» (فيلبي ٤: ١٣).